

"محمد السردية"

العائلة الجائعة

السردية/ محمد رضوان

العائلة الجائعة/ محمد رضوان السردية.- عمان: المؤلف, 2020

( ) ص.

ر.ا.: 372 / 1 / 2020

الواصفات: / الروايات العربية // الأدب العربي // العصر الحديث/

يحتمل المؤلف كامل المسؤولية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف

عن رأي المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

## جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

لا يسمح بتصوير أو نسخ أي جزء أو كل هذا الكتاب بدون الموافقة الخطية من المؤلف.

وكل من يُخالف ذلك، يعرض نفسه للمسائلة القانونية

شكر وتقدير:

أشكر وباسمي كل شخصٍ ساهم ولو إسهام بسيط  
بظهور الرواية بهذا الشكل، أخص بالشكر المدققة  
الرائعة منى يونس التي تحملتني وتحملت تدقيق الرواية  
عدة مرات، أثني شكري وأوجهه للرسامة المبدعة أسيل  
القيسي على استلهاها الجميل لغلاف الرواية ورسمه  
بهذا الشكل المبهر، وأنهى شكري لك أنت عزيزي  
القارئ لوثوقك بي ولقراءتك قصتي هذه التي آمل أن  
تنال إعجابك.

تمهيد:

أؤمن أن الوطن الحقيقي ليس رقعة من الأرض أو مساحة جغرافية، الوطن الحقيقي هو عائلة مستقرة و متماسكة في زمن الانفلات وتخاذل المسؤوليات. الوطن الحقيقي ليس صديقا تحبه أو شخصا تتزوجه، الوطن الحقيقي عائلة تشعر معها بالأمان وأنه يصعب على الحياة قهرك بتواجدهم، وما أصعب أن تقهرك الحياة بسببهم، إنهم ليسوا بضعة أفراد تربطنا بهم زمرة الدم أو الجينات إنهم أفراد قدرّ لنا أن نحبهم حتى النهاية مهما حدث.

أؤمن أيضا أن الانحلال، والمعرفة المحدودة، والتخلف ليس سببه قلة التعلم، وصعوبة تقبل الآخر والانفتاح على العالم ، بل إن سببه التفكك الأسري الذي يقود الأسرة كاملة للهاوية، محدود المعرفة بحاجة لعائلة تشعره بالاستقرار حتى يعرف ويتعلم وليس بحاجة إلى معلومات مكثفة ولا مدارس مكيفة، بائعة الهوى بحاجة إلى عائلة تشعرها بالأمان وليست بحاجة للمال والجنس والعيش بحرية مطلقة.

وما لا نتوقعه من أناس ملازمين لنا منذ ولادتنا هو الضرر، وإن حدث وتضررنا منهم فإن وقع ذلك في نفوسنا كالصاعقة، هذه القصة واقعية حدثت بنكهة

عربية خالصة، وتم تغيير الأسماء للحفاظ على سمعة كل فرد فيها، لكن لم ولن تتغير الحقائق حفاظاً على المصداقية بيني وبين القارئ العزيز. قصة أبطالها ميري "merry" الأم ورومان "roman" الأب وأولادهم: جودي "Jodi"، ونينا "Nina"، وتريشا "Trisha"، وإيميلي "Emilie"، وتينا "Tina"، وشقيقهم الأكبر جونيور "Junior"، والأصغر بيتر "Peter"، وبعض الأفراد الآخرين الذين سنتعرف عليهم في هذه القصة.

## الفصل الأول.

بدأت هذه القصة بمساعدة القدر حيث كان شقيق رومان ريكي "Ricky" يقيم حفل زفافه, الذي نظمه له رومان. لم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل هو أيضا من ساعده في العثور على شريكة حياته. وبالفعل استطاع رومان إسعاد والده جون "John" الذي كانت أمنيته تكمن في رؤية أولاده متزوجين، وأن يرى أحفاده قبل أن تنتهي سنين عمره ويغدره الموت، ولكن لم تكتمل فرحته كليًا لأن رومان لم يتزوج بعد.

رومان الذي يعمل في خدمة الجيش لكن ليس جيش وطنه. بدأت قصة رومان مع الجيش حين جاء مندوب عن حكومة إحدى الدول التي كانت تبحث عن جنود، وعرض على رومان العمل، وقبل الأخير العرض ووافق فوراً، وأمضى هناك ما يقارب ثمانية أعوام، عاد بعدها أدراجه، وما جعله يعود إلى وطنه الأم هو اندلاع حرب في تلك المنطقة آنذاك. تم الاستغناء عن خدماته كونه جندي مرتزق فقط لا غير. كان هذا السبب المباشر، أما السبب غير المباشر فقد كان في اتجاهين، الأول:

قراره في عدم خوض الحرب ما جعلهم يستأوون منه.

أما الثاني:

حينما فكر بينه وبين نفسه وقال: كيف سأقاتل أناسا من نفس جلدي؟

كان رومان في الثلاثينيات من عمره، فارح الطول، قوي البنية، مشرق المحيا، بُدقي البشرة. وجهه يدل على أنه جديّ للغاية ويصعب المزاح معه. ورغم جديته إلا أنه كان يعرف كيف يكسب الأصدقاء ناهيك عن الصديقات -بفضل وسامته-.

كانت عائلة رومان تُعرف بالرحالة؛ يتنقلون من مكان إلى مكان بحثا عن لقمة العيش ومصدر الرزق، لكن سرعان ما عادوا إلى "وطنهم الأم" وذلك يحدث مرات قليلة...

في العام التالي لعودتهم غادر رومان كجندي من المرتزقة، وخدم هناك حتى عام ألف وتسعمئة وتسعين.

في العام ألف وتسعمئة وسبعة وثمانين، وسط جلسة عائلية غمرها الاتفاق على خطوات مستقبلية، كان عنوان تلك الخطوات زواج الأخوين رومان وريكي. كان رومان يكبر ريكي سنا فأصر على تزويج أخيه قبله. وبالفعل ساعده في البحث عن رفيقة دربه، وتكفل

بجميع مصاريف الزواج آنذاك, غمرت وجه ريكي  
السعادة والامتنان لأخيه رومان فقال له:

- فرحتي عارمة ولا أستطيع وصفها, كم هو صعب  
أن تعبر عن شعور السعادة وأنت تعيشها!
- أتمنى أن أراك سعيدا دائما، وتأكد أنني سأكون  
بجانبك مهما كانت الظروف و الوقائع.
- وأتمنى أن أراك دائما بجانبني لأن وجودك وحده  
يجعلني ابتسم يا أخي, شكرا لك على كل شيء.
- لا تقل هذا, لا يوجد شكر بين الأخوة هذه واجبات.
- أحمد الله على أخ مثلك يا رومان.

وبعد أمسية زواج ريكي وذهابه هو وزوجته إلى  
منزلهم, عاد رومان وبقية عائلته إلى المنزل بعد ليلة  
جميلة ومتعبة في وقت واحد. رأى الأخير أباه مكتئبا  
ويده على خده والأخرى على عينيه. أحس رومان  
بأن والده مُتعب من تلك الليلة، إلا أن ملامحه لم تكن  
تدل على ذلك, كان جون حينها في الستين من عمره  
طاعن في السن، رجل ملامحه هرمة وجلده متجعّد،  
لكنه يتمتع بطاقة وقوة الشاب، جديّ المظهر -وهذا ما  
أورثه لأولاده- قصير القامة شديد الحرص على  
انتقاء الكلمات قليل المزاح إلا أنه لين القلب، وما



بداخله ينعكس دوماً على وجهه على شكل إيماءات.  
هرع رومان سائلاً أباه:

- أبي، ما بك؟

- لا شيء أنا حزين قليلاً فقط على رحيل أخيك.

كان جون يشعر أن وقته اقترب، وأنه سيلقى حتفه قريباً، والمرء يشعر بقرب الموت منه وإن كان لا يعلم مواعده بدقة.

- لا تقل هذا يا أبي، لقد نفذ وصيتك في النهاية، وكن واثقاً أنه لن يرحل عنك أبداً وسيعود لزيارتك.

كانت هذه قصة يده التي تجمع وتمسح الدموع التي ذرفت عيناها. لكن ما قصة يده الأخرى؟!

- هل هناك شيء آخر يزعجك يا أبي؟ أخبرني فأنا أشعر بالقلق عليك؟

أجابه جون وكان يبدو عليه الحزن والجدية وصعوبة الكلام:

- أجل يا ولدي، لقد زوجت أخاك المشاكس وأسعدتني بذلك، فماذا عن إسعادي بك؟

صُنع رومان وهربت منه الكلمات فلم يعد يستطيع جمعها، فأجاب في تردد وتلعثم:

- أبي أرجوك، دعنا نتكلم في شيء آخر لأنني  
أرفض تلك الفكرة من أساسها، أنا أعيش حياتي  
حرّاً هكذا ويروق لي هذا النمط.

نهض جون من غيبوبة الحزن وصب نظره على  
رومان حانقاً غاضباً، وقال له بصوتٍ عالٍ:

- يا لك من أحمق، لقد سألتني ممّ أشكو فأخبرتكَ،  
الأمر بيدك إما أن تراني هكذا حزينا بقية عمري  
وإما أن ترسم ابتسامة ترضيني عنك قبل حلول  
نهايتي.

- لا تشغل بالي عليك هكذا يا أبي، تعلم كم أنا  
ضعيف أمام حُبي لك... وتعلم أيضاً كم سيكون  
فراقك صعباً على روعي "طولة العمر الك ياأبا"  
إن كل همي يا أبي هو رؤيتك سعيداً حتى لو  
راودتني ملامحك في خيالي عابساً.

رد جون عليه مسائراً:

- "رضي الله عنك يا ولدي" أزلت القليل عن قلبي،  
لكن يبقى شيء وأنت تعرفه.

- أتمنى أن أزيل كل شائبة في قلبك يا أبتني، سأفكر  
بالأمر أعدك، عمت مساءً.

حمل رومان حزنه على أبيه وعلى نفسه، ومما سيحدث ومما سيفعل في قادم الأيام وذهب لغرفته حتى أنه من شدة حيرته كان يخلع ملابسه ببطء شديد، وطلع فجر اليوم التالي وما يزال رومان يفكر مرارا وتكرار فيما سيفعله حيال كلام أبيه؛ فهو يحب العيش حُرًا بلا قيود، ولكنه يحب أباه أكثر بكثير من حبه لعيش حياته على نمطه، يحب أباه حباً جماً لدرجة أنه لو قال له أقذف نفسك من سفح تلة شاهقة لفعل ذلك دون تردد. قرر رومان خسارة راحته وكسب أبيه لكن كيف سيكسبه؟ وما الطريقة لكسبه؟!

كان هناك عائلة ودودة تقطن بالقرب من منزل رومان وهم من أقربائه لكن بصفة بعيدة قليلاً، كان منزلهم في ذلك اليوم يتجهز لأُمسية تبدو فاخرة؛ فقد كان الضيوف من المدينة ما جعل رومان يفرح برؤية شخصيات جديدة في البلدة الصغيرة. في المساء -أثناء الأُمسية- تماما كالصقر لمحت عينا رومان إحدى الفتيات وسط الحشد، كانت جميلة وتبدو لطيفة، ففكر أنه حان الوقت ليجعل أباه يبتسم ويجعل حياته مشتركة وغارقة بالسعادة مع شخصٍ يشاركه تلك اللحظة وشتى اللحظات.

ذهب رومان مسرعًا إلى أبيه وصوت شهيقه وزفيره  
يكاد يسمع من مدى بعيد فخرجت منه الكلمات  
بصعوبة آنذاك:

- أبتاه, أبتاه.....
  - ماذا هنالك يا ولدي؟
  - أبتاه, أبتاه.....
  - التقط أنفاسك يا ولدي أقلقتني كثيرًا.
- وبعدما التقط أنفاسه أردف رومان قائلاً:
- عندي لك هدية عظيمة يا أبي.
  - وما هي تلك الهدية يا رومان؟
  - سأجعلك سعيدًا يا أبي.
  - لا تتحدث بالألغاز يا ولدي، قل لي ما الأمر؟ وماذا يدور في عقلك؟
  - لقد وجدتها يا أبي.
  - ما هي؟ بدأت تثير أعصابي يا رومان.
  - زوجتي المستقبلية يا أبي, إنها جميلة جدًا يا أبي.
- فصفحه أبوه عندما فهم نواياه بالتحديد, جون رجلٌ  
يتمتع بكثيرٍ من الحكمة والفتنة وسرعة البديهة مما  
جعله يرى كل ما يخبئه رومان من كلمات، ثم أضاف

للصفعة هدوءًا لا ينم عن الندم على صفعه وبدأ  
يتحدث قائلاً:

- كيف فعلت هذا يا أحمق, كيف كان بإمكانك النظر  
إلى فتاة, ألا تخجل من نفسك!  
- لقد أسأت فهمي يا أبي, كنت أعبّر الطريق وصدف  
أنني عبرت من هناك... من أمام منزلها ورأيتها من  
غير قصد, أعجبت بها ولكنني لم أطل النظر حتى  
لملمت أطراف جسدي وأتيت مسرعًا إليك  
لأخبرك.

- أين رأيتها أيها الجاسوس الصغير?  
- إنها في منزل عمي لويس "Luis" وعلى ما يبدو  
أنها أتت من المدينة وأعتقد أيضا أنها من أقاربه  
هناك.

- حسنًا يا رومان أعتذر على الصفعة وسنتحدث في  
هذا الأمر لاحقًا, أغرب عن وجهي الآن لأستجمع  
أفكاري.  
- حاضر يا أبي.

كان رومان يمضي إجازته آنذاك, إجازة اقتطعها من  
أجل حفل زفاف أخيه و من أجل الراحة كذلك, لم  
يكن على دراية بما ستخفيه تلك الإجازة من مفاجآت  
وتقلبات لمجرى حياته وأفكاره.

وأخيراً حل المساء الذي ينتظره رومان، والبسمة  
المرتقبة التي رُسمت بشكلٍ خجول على وجه والده  
بدأت تتفاقم، وفيها ما يكفي لتوزيع الأمل على سائر  
البشر. إنه الحُب يا سادة هو ببساطة يقلب الأفكار  
رأساً على عقب، يحيي الآمال الخاملة ويعيد الحياة  
للأرواح شبه الميتة.

وصل جون وابنه رومان إلى منزل العم لويس الذي  
كان بانتظارهما بعد أن أوصل إليه جون خبر قدومه  
قبيل انطفاء أضواء السماء البراقة. سارع لويس  
بتقديم التحية لجون ورومان.

- أهلاً وسهلاً بضيوفي الأعراء، يا لها من زيارة  
لطيفة يا جون وكم انتظرتها طويلاً.
- أهلاً بك صديقي وعزيزي لويس، يا لها من كلمات  
لطيفة لم أسمعها منذ مدة.
- هاهاها، تفضلاً أرجو كما هيا.

ثم دخلوا المنزل والحياء يغمرهم...

بالمناسبة لويس شخصٌ مميز في قصتنا، يشابه جون  
في الصفات شخص ذو كلمة كالسيف وحازم، لا  
يمزح كثيراً إلا أنه لطيف ولبق في الكلام، متوسط  
القامة، أبيض البشرة والشعر، في أواخر الخمسينيات

ووسيم للغاية، حتى أنه يمتلك لون عيون فريد لا يكف المرء عن النظر إليهما، وكثيراً ما يلهو المرء في النظر إليهما عند الحديث معه.

دخل جون وتبعه رومان إلى المنزل وجلس الأول في ثقة وعفة وطيب نية واضحات، أما رومان فالتزم الخجل و الصمت في حضرة أبيه، ووكل إليه الأمر كله بالحديث في شأن تلك الفتاة التي رآها. وصل رومان وأبوه تماماً في وقت العشاء فسارعت زوجة لويس سوزي بتكديس الأطباق على الطاولة وقالت بصوتها الدافئ:

- أتمنى أن يعجبكم العشاء، ضيوفنا الأعزاء.

وأردفت مُمازحة:

- وأتمنى أن تساعدوني بغسل الأطباق بتناولكم جميع ما فيها.

غمرت السعادة الطاولة وارتج زجاج النوافذ من صوت الضحك الذي غرق فيه الجميع بعد جملة سوزي. سرح رومان مع نفسه وقال:

"ليت الحال يبقى هكذا كي لا تصعب الأمور وأخذل منذ المرة الأولى التي أفكر فيها أن أتزوج".

وبعد انتهاء الجميع من العشاء سارعت سوزي بتقديم الشاي و وضع منافض السجائر عند جميع المدخنين, كان الجميع في حالة خمول بعد تلك السجارة الأشبه بالمخدر – بالمناسبة لم يكن جون مدخناً في تلك الآونة فقد حدث معه موقف جعله يترك التدخين لكن إلحاح لويس عليه دفعه إلى عدم رفض تدخين سيجارة، وكان جون يستخدم ذاك الأسلوب دائماً "أسلوب المسائرة" حتى ينال ما يُريد.

- هاك سيجارة يا جون دخنها إنها من صنف فاخر ولذيذ.
- أنت تعلم أنني مقلع عن التدخين منذ مدة...
- لا بأس دخن هذه فحسب هيا لا ترفض طلبي يدي مدت ومن الوقاحة أن تردّها.
- حسناً يا صديقي العزيز لن أكون وقحاً معك وسأخذها.

كانوا كلهم يدخنون بمن فيهم سوزي كلهم سوى رومان الذي لم يستطع التدخين أمام والده، والذي نسي أمر التدخين تماماً؛ حيث كان غارقاً في التفكير في أمر الفتاة التي صُدم جون عند معرفته أنها عادت لمنزلها، وكانت صدمة رومان أشد من صدمة أبيه، ومشاعره كُلها كانت تتخبط , كان في حالة يرثى لها



داخليًا وهو ينتظر من أبيه مناقشة الأمر مع العم  
لويس.

- لقد رأيت عندكم أمس حشداً هائلاً يا لويس...
- أجل, أجل إنهم أقربائي من المدينة يأتون بين الحين  
والآخر لزيارتنا.

وهنا صعق رومان الذي تمنى أن يراها عن قرب  
وكتب, لكن القدر لم يتدخل في تلك اللحظة, إلا أنه  
أصر على التدخل في قادم اللحظات..

دقت الساعة المرتقبة لرومان وأن الأوان, كانت  
البسمة تسكن عينيه والدهشة تخفق في قلبه, بدأ والده  
بالفعل التعمق كثيراً في الحديث عن الأمر مع لويس.

- لويس يا صديقي أريد أن أكون صادقاً معك في أمر  
ما يهمني جداً ويهم ابني أيضاً.
- ولا أذكر أنك كذبت يوماً في حديث معي يا جون,  
ويسرني أن أقدم ما بوسعي لخدمتك أنت ورومان  
الذي هو بمثابة ابن لي, لذا ما الأمر أخبرني؟
- أسعد الله فؤادك يا لويس كان يجب عليك ترك هذه  
الكلمات اللطيفة لوقتٍ آخر فهي تجعلني أتلعثم  
خجلاً...حسناً في الحقيقة وكما تعلم تزوج ريكي  
بعد مساعدة أخيه له, لكن كما تعلم أيضاً رومان

الآن يحتاج من يساعده ويشجعه على تقليد أخيه  
ويتزوج.

- كانت حفلة زواج رائعة بالفعل ورومان كان أخا  
مناضلا، سعى لأجل أخيه ومصالحته ونسي نفسه  
بالطبع كما أوضحت كلماتك يا صديقي، أتمنى أن  
يكون بمقدوري مساعدتك في هذا الأمر، فكما تعلم  
يا جون أنا لم أرزق بابنة قط، لكن قل لي ماذا  
يوجد بعقلك من أفكار؟ وسأرى ما الذي يمكنني أن  
أقدمه لمساعدتك.

- أشكرك على حضورك إلى تلك الحفلة  
المتواضعة... هو بالتأكيد نسي نفسه لكن هناك أب  
له لن ينساه أبدا. في صبيحة أمس كنت ذاهبا إلى  
السوق وفي عودتي وجدت كما هائلا من الناس  
يتواجدون في منزلك كما أخبرتك..  
- نعم لكنهم ليسوا من هنا، إنهم من المدينة يأتون بين  
الحين والآخر لزيارتنا وهم لطفاء جدًا كما  
أخبرتك، لكن مهلا لحظة!

أختي روزا رزقت بفتاة جميلة وذكية جدًا تدعى  
ميري ولم تتزوج بعد ما رأيك بأن أتحدث مع شقيقتي  
حيال هذا الأمر؟

- لقد سبقتني بالفعل بسرد الأفكار يا لويس كوني  
كنت خجلاً جداً لأن أقول بطريقة صريحة لا تخلو  
من الغمز واللمز أنني شاهدت فتاة جميلة من  
ضيوفك وأردت أن تكون من نصيب ابني رومان،  
أنا بالتأكيد سأكون ممتناً لك حقاً إن تحدثت مع  
شقيقتك روزا حيال هذا الأمر.

- لا تقلق يا صديقي فأنا أعلم نواياك جيداً، وأنت  
بالفعل كنت محظوظاً وغير محظوظٍ في الآن  
نفسه؛ فهم عادوا أدراجهم لمنزلهم قبيل ساعة  
ولكنني في الصباح الباكر سأذهب للمدينة لقضاء  
حاجةً ما، وفي طريقي سأمر على منزل شقيقتي  
وسأخبرها بالأمر. ومع حلول موعد عودتي  
سأكون محملاً بالأخبار السارة لك وسيكون العشاء  
في منزلك، اتفقنا؟

- اتفقنا يا لويس، أراك غداً إذن، اسمح لي الآن  
بالذهاب للنوم فعملي سيعود للدوران غداً، العطلة  
تمضي بسرعة فائقة.

- عمت مساءً صديقي..... عمت مساءً عزيزي  
رومان....

- عمت مساءً أيها العم لويس.

عاد جون ورومان والسعادة تغمرهما واستمر المزاح  
بالأيدي والمداعبة من قبل الأب لابنه طوال الطريق،  
وتكدست التهاني المبكرة لرومان من قبل أبيه المتفائل  
حيال الأمر. كانا بالفعل محظوظين لأن لويس يعرفهم  
جيداً فالعادات والتقاليد حينها كانت وخيمة على من  
ينظر إلى حرمة منازل الآخرين لكن لحسن حظهم تفهم  
لويس هذا الأمر بل تفهم أيضاً أن الأمر حصل بمصادفة  
كذلك.

وصلا جون وابنه رومان المنزل بعد مشيهم البطيء،  
كان جون طوال الطريق يلقي النصائح على رومان  
بغزارة "كن مهذباً، كن حذراً، إياك وإياك...." وحين  
وصلا سارع جون إلى النوم و قضى رومان ليلته مرة  
أخرى مع سواد السماء القاتم ليلاً في فراغ الصحراء  
وظلام الغرفة والأحلام المتناثرة على سقفها والهائلة  
على وسادة سريرها. لمجرد تخيل رومان شريكته  
الجديدة بين يديه ترسم البسمة على وجنته مُشكلة  
تجاعيد كان قد تحسسها للتأكد ما إذا كانت ضحكة  
صادقة حقيقية -كتلك الضحكة المصاحبة للحظات التي  
تذكرها حين تخيل مشهد استماعه لحوار أبيه مع العم  
لويس إلى حين مداعبة أبيه له في الطريق حتى وصوله  
لمنزله- أم غير حقيقية.

كان من شدة تشوقه يتقلب تارة على جنبه الأيسر  
فيتخيل ميري على الأريكة أمامه وتقرأ له قصة قبيل  
خلودهم للنوم، وتارة على الجنب الأيمن فيتخيل ميري  
خلف ظهره وينظران للسماء سويًا، أتعبته أحلامه  
الوردية حتى تغلب عليه النوم وأُقفلت أجفانه رغبًا عنه.

وحل الصباح الذي سبق الليالي الملاح، القادم على  
سلحفاة مُحسنة بمحرك يتسارع بنسبة أكبر من المحرك  
التقليدي للسلحفاة. كان رومان ينتظر بالدقائق والساعات  
قدوم العم لويس من رحلته المصيرية بالنسبة لرومان،  
وقبيل حلول ظلام الليل بقليل وصل العم لويس الذي  
لمحه رومان من شرفة المنزل. وسارع الأخير بارتداء  
أجمل ملابسه وتسريح شعره، وجلس ينتظر قدوم العم  
لويس. قبيل وصول لويس لاحظ جون الغرابة على  
رومان فانهال عليه بكيلٍ من الأسئلة وهو في منتصف  
تأمله الطريق من على شرفة المنزل:

- ماذا دهاك يا رومان؟ لماذا ترتدي لباسا أنيقا ويبدو

لي أنك تنتظر لويس؟ قُل لي... أم أنك تنوي

الخروج في هذه الأوقات؟

- لا شيء يا أبي أنا فقط سعيد، شاهدت العم لويس

عائدا إلى منزله بعدما انتظرت له لساعات على شرفة

منزلنا وكان يبدو على عجلة من أمره، على  
الأغلب يحمل أخبارا طيبة معه من المدينة.  
- أمل ذلك يا بني.

ذُهل رومان فيما بعد من اكتشاف أبيه لما كان يخبأه  
بداخله عندما كان يرتدي ملبسه، لم يكن يعلم بأن أباه  
يتمتع بكل تلك الفطنة والذكاء.

و حلت ساعة حضور لويس فحضرت جيني زوجة  
جون العشاء كما اتفقا زوجها وابنها مع العم لويس أمس  
أن يكون العشاء في منزلهم وترمى الأخبار سيئة أم  
جيدة على مائدة الطعام.

تم تحضير العشاء وبات الجميع في انتظار العم لويس  
و زوجته سوزي. فطرق الباب أخيراً، فسارع رومان  
لاستقبال الضيوف قائلاً كلماته مسرعاً البوح بها:

- أهلاً وسهلاً يا عم لويس... تبدو أنيقاً اليوم... أهلاً  
بك سيدة سوزي تبدين رائعة اليوم، تفضلاً... تفضلاً  
أرجوكم.

- شكرًا يا رومان هذا لطف منك- لويس وسوزي-  
نحمل أخبار رائعة يا جون!  
- حقًا يا صديقي!

تفضل يا صديقي إلى الطاولة وسنتحدث بذلك.

- كانت رحلة شاقة يا جون الطريق طويل والجو  
حار وأشعة الشمس تحرق المرء من رأسه حتى  
أخمص قدميه.

- بالفعل يا صديقي اليوم كان مُتعبًا لي أيضًا  
تضاعفت المسؤولية على عاتقي اليوم بسبب تغييب  
أحد العمال.

" كان جون يعمل مزارعاً "

- عافاك الله يا صديقي وأمدك بالصحة والقوة, لم تقل  
لي أن السيدة جيني بارعة لهذه الدرجة في الطهي.  
- هاهاها, احترس لكلماتك يا صديقي زوجتك  
بجانبك.

- هاهاها, أعلم ذلك، لكنني لن أقول بتاتًا في حياتي أن  
هناك طاهية بارعة مثلها, أنا فقط أمتدح وأقدر  
الجهود.

- محظوظة برجل مثلك يا صديقي, أَلّف الله بين  
قلبيكما طيلة العمر.  
- أشكرك يا صديقي.

وبعد انتهاء الجميع من العشاء كان هناك بركانٌ يثور  
في نفس رومان، وهذا البركان كثيرًا ما يدفعه للغضب  
الكتوم.

جلس الجميع لشرب الشاي كالعادة بعد أي عشاء وهنا  
دار الحوار وطال الحديث.

سارع لويس ببدء الحوار وكان جون مُنصتا أشد  
إنصات..

- ذهبت اليوم لمنزل شقيقتي روزا وتحدثت معها في  
موضوعنا.

- وماذا قالت لك؟

- قالت أنها ستأتي قريبا إلى هنا كي يكون الأمر  
رسمياً، وتستطيع التحدث معك بشكل مباشر وهذا  
سيكون أفضل.

- أجل يا لويس، أسعدتني للغاية، نحن في انتظارها  
بفارغ الصبر، ونتمنى أن تتم الأمور على أفضل  
وجه.

- انتظرها أنا أيضا، لكن سأسعدك أكثر يا صديقي  
فهي سوف تقبل بكل تأكيد لكن سيُعيقها رأي ابنتها  
وعلى كل حال ابنتها ستُعجب برومان أنا متأكد،  
فهو شابٌ مهذب وذو مظهرٍ فاتن أيضا.  
- أتمنى ذلك يا لويس.

كانت هذه أبرز كلمات الحوار والتي جعلت موجة من  
السعادة تجتاح قلب رومان، فلم ينم جيدا متخيلاً مشاهد  
مشابهة لليلة السابقة، كان يعلم أن مجيء روزا يعني أن



هناك أملا كبير بأن تسير الأمور على ما يرام, فلو كانت سترفض لما حملت نفسها تعب المشقة والسفر لتأتي وتتحدث بالأمر, تزكية لويس لرومان وعائلته لعبت دور مهماً رئيساً بكل تأكيد.

حلّ الصباح و اتصل لويس بجون هاتفيا منذ الصباح وأخبره أن روزا وزوجها جاك سيأتون اليوم لمنزله وعليه الحضور للحديث الأولي، ومن ثم الذهاب إلى منزلهم الواقع بالمدينة للتحدث بشكل رسمي هناك. أسعد الخبر جون وأكد للويس حضوره مساءً على العشاء برفقة جيني ورومان، وما كان يُسعد جون هو تحديد موعدٍ رسمي آخر للتحدث في التفاصيل، لقد كان مقتنعاً أن هذا الأمر هو بمثابة قبولهم بتقدم رومان لميري كما اقتنع رومان أيضاً، وما جعله أكثر اقتناعاً هو تقسيم الموضوع لموعدين موعد هنا وموعد هناك. هو يعلم أنهم سيأتون ليعاينوا وضعهم المعيشي عن كثب فلن يكتفوا بمدح لويس لهم, وهو يعلم كذلك أن الدعوة الثانية ستكون بمثابة أمر حاسم، وستكون أيضاً بهدف أن يرى رومان وأهله طبيعة الحياة التي تعيشها العروس في المدينة.

وصل الخبر إلى رومان عن طريق أمه، فسارع لتجهيز نفسه في وقتٍ مُبكرٍ جدًّا، متشوقًا لعشاء الليلة وما سيحمله من حديث وآمال وأمور مستقبلية. إن عادة الحماس في رومان واضحة تمامًا لشخصٍ على دراية ولو بسيطة بعلم النفس البشرية، لكن لمن لا يعلمها ولا يفقه فيها ولو قليلاً سيظن أن رومان يهتم بمظهره لغاية الإبهار ولا يمتلكه الحماس والتوتر.

ليلاً وبعد أن طال الانتظار بالنسبة لرومان و والدته جيني، الليل ذاته الذي كان سريعًا لجون المنهك المتعب من قسوة العمل وعودته المتأخرة منه، سابق فيها الأخير الوقت فاغتسل عند وصوله فوراً وجهز نفسه وذهبوا ثلاثتهم. عند وصولهم لم يكن لويس وحده في انتظارهم كالعادة، بل كان برفقته جاك والد ميرى. قال لويس متحدثاً بصوتٍ خافتٍ مع جاك الذي يكاد يكون ملتصقاً بلويس :

- ها قد وصلوا لن يتأخروا قلت لك.

من ثم رفع نبرته وحيًا الزائرين.

- أهلا بكم جميعا برد العشاء يا أصدقائي.

رد جون متحمساً:

- أهلاً بكما صديقاى لا نكرث للعشاء أتينا لرؤية  
جاك, هاهاها.

ابتسم جاك ابتسامته الخالبة البسيطة من ثم قال وهو  
يمد يده لجون:

- هاهاها, وها أنا ذا يا صديقي الجديد سعدت بلقائك,  
تفضلوا جميعاً أرجوكم.

- أشكرك جزيلاً سعدت بمقابلتك أنا وعائلي.

وعلى طاولة العشاء التي جُهِزت سريعاً ولم يسبقها  
حديث طويل هذه المرة، ومرد ذلك غالباً أن جاك  
وروزا كانا منهكين من الطريق الطويل. كان الحديث  
قريباً للروح جداً وكأنهم يعرفون بعضهم منذ قرون،  
لم تكن هنالك رسميات أبداً حيث تحدث رومان  
بطلاقة بعدما كان يلتزم الصمت في عدة مناسبات  
سابقة لهذه المناسبة.

كما تجري العادة، يتحدث الرجال نيابةً عن نساء وكل  
أفراد المنزل، قال جاك متحدثاً هذه المرة بالنيابة عنه  
وعن زوجته وميري ابنته:

- نحن أعجبنا بابنك جدا رومان يبدو رجلاً لطيفاً جداً  
ويروق لنا كثيراً. نحن بالتأكيد بانتظار قدومكم  
لمنزلنا للتحدث بشكل أفضل هناك.

- بالتأكيد سنأتي يا صديقي عليك فقط تحديد الموعد المناسب وسنأتي حتماً. نحن نقدر مجيئك هنا ونعلم جيداً أنك منهك بسبب الطريق.

- لا تروق لي هذه الجملة ولا يروق لي هذا التكلف والغلو... تستطيع القدوم متى شأت يا صديقي، بالفعل الطريق شاق ومتعب أعانكم الله حين تأتون.

احمر وجه جون ورد متلعثماً للمرة الأولى في حياته:  
- أشكرك على لطفك يا صديقي ليكن غداً هو الموعد إذاً، هل هذا مناسب؟

ابتسم جاك ابتسامته الساحرة مجدداً لبساطة جون وشفافيته وقال مكرراً ما قاله مسبقاً:

- قلت لك الموعد الذي تريده، فإذاً هو مناسب جداً.  
- حسنا اتفقنا يا صديقي.

تدخل لويس بعد أن صمت لبرهة قصيرة وقال:

- سأتي معكم أنا وسوزي بكل تأكيد لنرشدكم على الطريق جيداً ونشارككم الفرحة المرتقبة.  
- هذا لطف منك يا صديقي ويشرفنا بالطبع قدومك معنا.

وسار العشاء وما تلاه من حوارات على هذا النهج:  
كله كان اتفاقات على اليوم القادم, وبعد انتهاء العشاء  
وعودة جون وعائلته لمنزلهم سارع جاك وروزا  
للعودة إلى بيتهم مبكرًا من الصباح التالي حتى يتسنى  
لهما التحضير والتجهيز جيدًا للمناسبة، وسارعت  
سوزي بدورها بغسل بدلة لويس للذهاب مع جون  
وعائلته، وكذلك الأمر فعلت جيني لجون ورومان،  
فأعدت ملابسهم من المساء ذاته -مساء العشاء  
الأخير- لم ينم رومان لشدة شوقه وحماسه.

وكما جرى الاتفاق بين لويس وجون ذهبوا جميعًا بعد  
ظهيرة اليوم التالي متجهين إلى منزل جاك؛ للتحدث  
بأمر خطبة ميرى لرومان. كان جاك وروزا في  
انتظارهم بفارغ الصبر، كذلك ميرى التي أرادت  
معرفة الشاب الذي سيشاركها الحياة في قادم العمر.  
كانت ميرى في الثانية والعشرين من عمرها، بيضاء  
البشرة وبارعة الجمال، خضراء العينين كستنائية  
الشعر، حتى أن هيئتها الجسدية متناسقة كما لو أنها  
نُحِتت بدقة. كانت أشبه بمارلين مونرو العربية بل  
خليفتها ولا أبالغ حينما أقول أنها كانت أجمل منها.  
جميلة بشكلٍ مُدهش، وفاتنة بكل تفاصيلها، ليس  
لجمالها مثل ولا لفتنتها شبيه. ولا يكفي أنها جميلة

بل كانت شديدة العصبية أفعالها تهاب منها الرجال،  
يصعب على أحدهم الاقتراب منها والعبث معها.  
روى شقيقها وأكد كثيراً أنها في يومٍ من الأيام  
ضربت أحد الشبان لأنه شتم أخاها في حين لم يحرك  
الأخير ساكناً. ببساطة كانت فتاة مستقيمة، وكانت  
تعمل في شركة تصنع الشوكولاتة وكانت تحب عملها  
كثيراً ومولعة به.

أخذت ميري إجازة من عملها هي الأخرى بعدما أخذ  
جون إجازة أيضاً، وعند وصولهم سارع جاك وروزا  
لاستقبالهم بحرارة. اكتفت ميري بالنظر عن بُعد  
مختبئة خلف ستارة إحدى الغرف تستمع لما سيحدث  
وما سيقال.

- أهلاً بكم تسرني رؤيتكم حقاً في منزلي المتواضع  
تفضلوا أرجوكم.

رد جون:

- أهلاً بك صديقي تسرنا رؤيتك أيضاً.

من حسن حظ جون أن ابنه رومان كان يمتلك سيارة  
تقلهم وتسعهم جميعاً حيث أن المسافة كانت طويلة  
نسبة لذلك العام "1987" ولا أحد يغامر بالذهاب كل

تلك المسافة إلا إذ امتلك سيارة أو أقارب يمكث في بيتهم حتى صباح اليوم التالي.

قال لويس حائكاً في كلامه مدحاً خفياً لرومان:

- كان الطريق طويلاً ومتعباً لكن براعة رومان بالقيادة جعلته أقل مشقة.

رد جاك بابتسامته المعتادة التي تسبق نطقه:

- لقد قلت لك أن رومان يروق لي بالفعل حقاً سأكون محظوظاً به وكذلك ابنتي ستكون أوفر مني حظاً، هاهاها...

وكما تسير العادة في التقاليد العربية -العادات المتطورة- حضرت ميري القهوة للجميع وستظهر بها كي تراها عائلة العريس بمن فيهم العريس، وتجلس قليلاً وتتعرف بعائلة العريس ثم تذهب إلى الداخل وتدلي موافقتها أو رفضها لأمها، وتنقل الأخيرة الخبر لأبيها وينقل والدها الخبر للضيوف، هي للأسف عملية عرضٍ وطلب؛ إما تأخذ المنتج وإما تتركه لغيرك ممن يروق لهم بالفعل.

وبعد جلوسها وتحاورها مع والدتها وافقت ميري على الخطوبة موافقة كانت سعيدة بها, فغمرت الفرحة الجميع بموافقتها وتكبل فم رومان من الخجل المصاحب للفرحة.

ومع أن رومان كان يبلغ من العمر خمسة وثلاثين خريفاً, إلا أن فارق العمر لم يكن مهمًا بالنسبة لهما. انتهت أمور التحضير لخطوبتهم على وجهٍ سريع فتمت في ظرف أسبوع, لكن العجلة في أمرٍ قد يجعل المراد الأساسي طويلاً ربما.

وبالفعل أكد رومان للجميع أن إجازته ستنتهي خلال أيامٍ قليلة لذلك عليه السفر والعودة إلى عمله ووافق الجميع على ذلك بمن فيهم ميري التي قررت عيش آخر أيامها الحرة مستمتعة بعملها الذي تحبه.

سافر رومان عائداً إلى عمله وأكملت ميري آخر أشهر عملها. كانت روحهما متصلتان رغم البعد, فكانا يتذكرا ملامح بعضهما خاصة عندما يكونان وحيدين في المساء, مما صعب عليهما مهمة النوم. وبعد سنةٍ كاملة عاد رومان من عمله وعلم الجميع بعودته, وفرحوا كثيراً بذلك الخبر وبالذات ميري التي كانت تنتظر هذا اليوم بفارغ الصبر وجاء بعد



طول انتظار, كذلك رومان كان يشعر بنفس الشعور,  
شعور ميري على وجه التحديد.

سارع جون لإخبار لويس بالأمر قبيل وصول  
رومان، حيث الأخير قد أعلم أباه أنه قادم بعد أن  
اقتطع إجازة أخرى لكنها هذه المرة ستكون قصيرة  
وعلى الأغلب سيتزوجان خلالها وسيسافران سوياً  
إلى مكان عمله.

خبرٌ جعل جون يقفز من الفرحة فأعلم لويس بما  
أخبره رومان من حُطِّ يخطط لها الأخير. لويس  
الآخر تكفل بإخبار جاك بأن رومان على مشارف  
العودة وقد يتم الزواج في قادم الأيام, خبر أسعد جاك  
كثيراً وأحزن روزا قليلاً لأن ميري ستذهب بعيداً  
عنها وستراها قليلاً كل عام على الأغلب. عندما أخبر  
جاك وروزا ابنتهما ميري بالأمر فرحت فرحاً شديداً  
وكانت متشوقة للغاية لعيش حياة جديدة وتكوين أسرة  
"تحسن تربيتها" والذهاب لعيش حياة أخرى في بلد  
آخر لا يشبه البلد الذي تقطن فيه.

كان الجميع على أتم الاستعداد لحفل الزواج بما فيهم  
ريكي الذي قدم لمساعدة رومان بزواجه بعد مساعدة

الأخير له في زواجه، كان الأمر حينها رد معروف  
قبل أن يكون مساندة.

ودقت الساعة المنتظرة للجميع، وحان الوقت  
للاحتفال بميري ورومان كزوج وزوجة، كان الجميع  
سعداء، حتى روزا التي كانت مستاءة من أمر ذهاب  
ابنتها بعيداً نسيت كل ما يدور برأسها وشاركت ابنتها  
والجميع الفرحة، كل شيء كان سريعاً حتى سردي  
للقصة!

كان الجميع يرقص بجنون، لويس وسوزي، جون  
وجيني، جاك وروزا، ريكي وزوجته رومان  
وعروسه ميري ومدعوون آخرون إلى الحفل.

لكن في نهاية الحفل خيم الحزن على عائلة ميري  
حتى جاك الذي أوشك على البكاء وقد دمعت عيناه  
لفراق ابنته التي كرس حياته لرعايتها، قبل تلك  
اللحظات الحزينة انهالت التهاني من شتى الأماكن  
بدأها لويس:

- مبارك يا رومان، أخيراً والدك وأنا رأينا هذه  
اللحظة وشاهدناك تفعلها.

- أشكرك عم لويس... أنا سعيد بقدر سعادتي  
لإسعادكم. لن أكون أكثر سعادة إلا بتواجد الجميع  
هنا بجانبني.

- مبارك يا رومان - من سوزي لرومان- اعتنِ بها  
جيداً.

- أشكرك يا سيدة سوزي, لا تقلقي إنها في عيني.  
عقب ذلك اندفع ريكي بروح الشباب صوب رومان  
وقال له:

- أخي... يا أخي أشعر أنني في قمة السعادة الآن  
والاطمئنان يعجب بي من رأسي إلى أخمص قدمي...  
أشكر الله على إمدادي الطاقة لمساعدتك كما  
ساعدتني وأثني شكري لله لأنه مدّ في عمري من  
أجل هذه اللحظة.

- سعادتك من سعادتي يا أخي, والشيء الذي أخذ  
اهتمامي كله هو تواجدك هنا بجانبني, لكن لا تقل  
هذا لا يوجد بين الأخوة حسابات فنحن كالجسد  
الواحد وأرواحنا ملتصقة.

- أخيراً يا بني ... أخيراً... وبعد طول انتظاري لك  
ولأخيك ها أنتما الآن تحققان أمنيتي, أنتما أفضل  
ما وهبني إياه الله, شكراً لك يا بُني على هذه  
اللحظة واعتنِ بعائلتك الجديدة جيداً.

جون كان الوحيد حينها الذي اتصف بمصادقية  
الشعور؛ فكان الأغلب يدعي أنه يشعر هكذا ويشعر  
هكذا كانت حفلة تمثيل لا محالة، إلا أن المخرج كان  
حينها أنا فلم يستطيعوا خداعي، فتارةً أبتسم لصدق  
المشاعر التي بالفعل خرجت من كل شخص منهم  
وتارةً أعقد حاجبي على ادعاءهم لشعورٍ ما. جون  
كان مختلفاً، كان يجلس طوال الحفلة في ركنٍ يكشف  
له جميع مراسم الحفلة بصورةٍ كاملة، وكانت بسمته  
لا تفارقه، ناهيك عن عدم تصدقيه لما يراه وخوفه أن  
يكون الأمر غير حقيقي، يلاحظ المرء ذلك من خلال  
ارتعاشه عندما رقص أول الحفل وعندما هنى رومان  
بزفافه، فقد قال ما قاله منذ قليل والدموع توشك على  
الانهيار من جفنيه، لكنه تماسك وأخذ رومان ل صدره  
وعانقه، ليس فقط ليهدئ من روع نفسه بل ليتأكد  
جيداً أن الأمر حقيقي!

- أطل الله بعمر ك يا أبي حتى ترى نسخ منك  
أنجبناهم، الشكر لله ثم لك يا أبي على الوقوف  
بجانبي ومساندتي لإتمام هذا الزواج.

ثم أنت جيني مقاطعة للحظة الجميلة تلك، وهي ترفع  
يديها وتوشك على البكاء، فقالت:

- بُني وصغيري وحببي أسعدك الله بقدر رحمته  
وحفظك ورعاك، لا تحتاج إلى توصية اعتن بها  
كما اعتنت بي وبأبيك، لا تحرمها من شيء.  
رزقكما الله الذرية الصالحة.

- لا تقلقي يا أمي إنها جزءٌ من نفسي الآن وسأعتني  
بها جيداً بيدي وأسناني، لكنني لن التهمها مازحاً-  
لا تخافي.

ثم اتجه رومان من تلقاء نفسه لجاك ليسلم عليه ويأخذ  
منه التهاني.

- مبارك يا بني لن أقول الكثير فأنت تعرف ما في  
قلبي، فقط اعتن بها وعدني بذلك.  
- أشكرك يا عماء، لا تقلق أعدك أن أعتني بها جيداً.

ثم سار على نفس النهج لروزا فقالت له:

- مبارك يا بُني هي الآن بين يديك فلا تفلتها ولا  
تخنقها بهما، اعتن بها جيداً من أجلي.  
- أشكرك يا عمتي، لا تقلقي هي بين بطيني قلبي  
أيضاً.

وبعدما هنا الجميع رومان حان الوقت لتهنئة ميري،  
التي كانت تبكي حزناً على فراق حتمي لم تعتقد أنه  
سيأتي بهذه السرعة. جالسة على منصة الصلاة

تذرف الدموع والفتيات يهدئن من روعها. أتت أول  
التهاني الصادقة لها من أمها التي تركتها للتو لتلقي  
السلام والتهاني على رومان وتعطيه بعض  
التوصيات من أجلها.

- بُنيتي أعلم أنه سيكون من الصعب عليك التأقلم  
سريعاً، لكن هذه سنة الحياة، فعديني أنك ستحافظين  
على زوجك وسمعته وتربين ذريتكما التربية  
الصالحة.

- أمي العزيزة... الأصعب من ذلك كله عدم رؤيتك  
في كل صباح لكن كما قلتِ هذه هي سنة الحياة...  
أعدك يا أمي أن أكون عند حسن ظنك.

كانت الحفلة مليئة بالمقاطعات وكان الوقت يداهم  
الجميع وكان المقاطع في الحديث هذه المرة جاك،  
فقال:

- ابنتي حزين وسعيد من أجلك، حزين لابتعادك عني  
وسعيد أنك ستشرفيني أنا وأمك في العديد من  
المناسبات اعتنِ بنفسك جيداً من أجلنا.

- أمل أنا لا أراك حزيناً يا أبي، فتأكد أنني سأكون  
سعيدة حالما أراك أنت وأمي سعيدين وراضيين  
عني، لا تقلق سأكون بخير أعدك بذلك.

ثم أمسك بيدها وسار بها نحو والد رومان ووالدته،  
والديها الجديدين؛ لكي تقبل يديهما وتطلب الرضا كما  
طلبتة من جاك وروزا ، فنالتة بكل حب.

- صغيرتي مبارك يا ميري. أنتِ من الآن فصاعداً  
مسئولية عظيمة على عاتقي وعاتق رومان بالتأكيد  
فإن أزعجك ذاك الأبله لا تتردي في البوح لي  
اتفقنا؟

ضحكت ميري وعيناها مثقلة بدموع تخالطها السعادة  
والحزن، وقالت وكان حلقها انفجر من كثر النحيب:

- هاهاها... شكراً يا عمي لا تقلق سنعتني بأنفسنا  
جيداً ولن نتعارك كالأطفال, لكن أوافق على  
عرضك فاتفقنا يا عمي.

- حبيبتي أنتِ الآن بمكانة ابنتي وسأعاملك تماماً مثل  
أولادي, كوني على علم أننا بجانبك في كل شيء  
مثلاً سيكون رومان كذلك, اعتنيا بنفسيكما جيداً.  
- أشكرك يا عمتي, سنكون عند حُسن ظنك لا تقلقي.

من ثم انقادت ميري من يدها صوب لويس وسوزي،  
قالت الأخيرة والبسمة تملأ وجهها:

- مبارك يا حلوتي أتمنى لك الحياة السعيدة مع  
رومان اعتنيا بنفسيكما جيداً.

- أشكرك يا عمتي, لا تقلقي سنكون بخير.  
من ثم أخذ لويس ميري بجولة عناقية على صدره  
امتدت لثلاث ثواني أردف قائلاً من بعدها:  
- مبارك يا حبيبتى قد أكون آخر من بارك لك لكن  
صدقيني قد أكون أصدقهم -مازحاً- كونا بخير  
وعيشا حياة سعيدة.  
- هاهاها...جائز جداً أشكرك يا خالي سنكون بخير  
أعدك.

انتهت المباركات وحن وقت الرحيل لميري  
ورومان, أعلم أنني أطلت عليكم بتلك التهاني لكن  
ذلك كله لأوضح لكم كم كانت مهزلة من المشاعر  
الملقاة هنا وهناك....

كانت ميري تقود قدميها بصعوبة بعدما ضعفتا من  
قوة المشهد، مشهد رؤية دموع أمها الهائلة وقطرات  
الدموع التي كانت على أبواب أجفان والدها, لكن  
سرعان ما تماكنت نفسها عندما رأتها بيتسمان بسمة  
الفرح المتصنعة لها كي تشعر بالأمان. ضمها رومان  
على صدره وأشعرها بدفء قلبه اتجاهها وأشعرها  
بأنه بجانبها وأنها بأمان كذلك, فأطلقا ساقيهما للريح  
ثم عجلات السيارة فعلت الأمر نفسه وانطلقا.



رومان وميري الآن وحدهما, تحققت الأمانى وولت ساعات الانتظار, كانت البسمة في قلوبهم سريعة الانتشار, تعاهدا على البناء لا الدمار, وبعد انقضاء يوم الزفاف وبعد يومين على أتم تحديد حان وقت الرحيل, جُهزت الحقائق, رومان وميري يستعدان للذهاب إلى بلاد بعيدة, وها هما يرحلان لبدء حياة جديدة, فانهالت عليهم الأمنيات بعيش حياة سعيدة.

في العام 1988 رحل رومان وميري متجهان للمكان الذي يعمل به رومان كضابطٍ عسكري مُرتزق, كانت الحياة صعبة للغاية بالنسبة لميري, كانت وما تزال شابة يافعة تحن وتشتاق لحياتها السابقة, كانت تكسر الكثير من الأطباق يومياً, وتزعج رومان بفكرة العودة لرؤية أبويها, وكان رومان مرغماً على تحمل ذلك, كان رومان لا يستطيع أن يرفض لها أي طلب.

وبعد سنة من حياة شاقة لروح ميري ولدت من روح ميري طفلة سميها جودي, الفرحة كانت عارمة في كل مكان, فرحةً نبعت من ميري ورومان وصلت لجميع من أحبهم وتمنى لهم الحياة السعيدة. عادا إلى

"الوطن الأم" للاحتفال بمولودهم قرب الأحبة وثم  
عادا حيث كانا, هي مجرد لحظات جميلة ثم سيعودان  
لما هو موجود على الدوام "الحنن" !

لكن حدث شيء أرغمهما على عودة أبدية. كان ذلك  
الحدث في العام 1990 تحديدا في شهر أغسطس  
اليوم الثاني من الشهر...

اندلعت الحرب آنذاك وكان رومان رافضا فكرة قتال  
أي رجل من نفس عرقه, فتم عزله من الخدمة وعاد  
أدراجه إلى وطنه، وهناك أكمل ما تبقى من قصة  
حياته التي سأقصها لكم في قادم الحديث.

وبعد العودة والاستقرار بقرب الأحباب رزقا بمولودة  
أخرى سمياها نينا, عمت الفرحة مجدداً لكن هذه  
الفرحة لم تكن الأخيرة يا أصدقائي, بعدها بسنة أيضا  
رزقا بطفلة أخرى سمياها تريشا, كانت تريشا محببة  
جداً لأبيها أكثر من أختيها, لكن قبل أن تولد تريشا  
كان هنالك حدث ساهم في ولادتها..... في يوم من  
الأيام وبعد أن اشتد الخناق على روح ميري ذهبت  
هي وابنتيها عائدة إلى منزل ذويها من دون إخبار  
رومان بذهابها, رومان في ذلك الوقت كان يعمل  
كسائق إسعاف في وزارة الصحة, كان الخبر صاعقا  
للجميع, لويس وسوزي حاولا أن يجدا حلا لكن دون

جدوى، كان الحل وحده بيد رومان الأقرب لقلبها في ذلك الوقت، سارع جون للتحدث إلى ابنه رومان لإقناعه بالذهاب والتحدث مع ميري ومعرفة ما خطبها وإعادتها إلى هنا، لكن رومان رفض تماماً قرار أبيه ولم يتقبل رأيه، فقال له: "هي ذهبت وحدها فلتعد كما ذهبت"، لكن هذا الكلام لم يلق إعجاب أبيه الذي قرر أنه سيكون غاضباً منه في ما تبقى له من سنين عمره.

أرغم رومان مرة أخرى، وذهب وتحدث مع ميري، وعند وصوله نال الترحيب الحار من جاك وروزا الذين استقبلاه بالأحضان والمحبة المفعمان بالصدق. قبل رومان طفليته وضمهما إلى صدره ورائحة عناقه تفوح بالاشتياق، ثم تمالك ما بداخله من غضب على فعلة ميري وجلس وحدهما وتحدثا.

- ما بك يا ميري هل أنت بخير؟

- أنا بخير هنا.

- ماذا تقصدين يا عزيزتي؟

- أقصد أنني لا أطيق العيش هناك، لم أعتد أبداً على

تلك الحياة، حاولت ولم أقدر هذا الأمر بالنسبة لي

يحتاج إلى معجزة يا رومان، أتمنى أن تتفهمني.

- أتفهمك جيداً يا عزيزتي وسأجد حلاً لذلك أعدك.

أنهى الحديث مع ميري بإعطائها النقود وألقى التحية على جاك وروزا وعاد باحثاً عن حل لمشكلته, كان مستاءً للغاية وفي حيرة وتخبط داخلي لم يسبق لهما مثيل. أفكارٌ كانت تجوب في عقله كشارعٍ رئيسيٍّ لا يخلو من السيارات طوال اليوم, ضوضاء وتشتت فكري ونوبات غضب, كل ذلك كان بداخله أوصله إلى الحديث مع نفسه, فمن يتكلم مع نفسه يا سادة ليس بمجنون صدقوني إنما هو وحيد لا أحد يفهمه !

وجد الحل حين قرر العيش بالقرب من منزل ذويها, بعد أن قدم طلب نقل من مكان عمله البعيد عن منزل عائلة ميري. أعجب جون بفكرة رومان وأيده تماماً, كان جون سعيداً بتضحيات رومان من أجل عائلته التي بناها, رومان ضحى من أجل زوجته وأطفاله فهل سينال التقدير؟

وناله بالفعل من أبيه وأمه أولاً و جاك وروزا ثانيًا وأخيراً من زوجته ميري. كان بطلا في عيون ميري جراء ما قدمه من تضحية, ونتيجة لعودتهم رُزقا بمولدتهم الثالثة تريشا, فكانت تلك المشكلة سبباً رئيساً في ولادة تريشا ناهيك عن الاشتياق الذي كان مكبوتاً لبضع شهور...

أؤمن أن الثمرات التي تولد من رحم المعاناة  
واللحظات العصبية واللحظات التي تكون فيها  
الأطراف جميعها على خصام وعدم وفاق، ثمرات لا  
تقدر بثمن.

عاش رومان وميري حياة هنيئة وبسيطة، أحبا  
حياتهما بكل أحداثها وتفصيلها وتقبلا حرمان  
نفسيهما قدر المستطاع من أجل أولادهما، ونتيجة  
لمحبتهم الكبيرة المتبادلة رزقا بفتاة أخرى سماها  
إيميلي. بعد ولادة إيميلي توسط الحزن واليأس رومان  
الذي كان يحلم بطفل يحمل اسمه. كان التوتر سيد  
الموقف بين ميري ورومان، فصارح رومان ميري  
وأخبرها بشدة إرادته لطفل يحمل اسمه وكانت ميري  
تحمل الشغف نفسه.

بعد ولادة إيميلي بعام أصبحت ميري حاملا بطفلٍ  
لكن لم يعرفا بعد ما هو جنس ذلك الطفل، وقررا عدم  
الذهاب لفحص جنس المولود كي تكون النتيجة  
مُفاجئة، كان الأمل كبيراً، حتى روزا كانت تحلم  
برؤية طفلٍ ذكر لميري قبل وفاتها لكن فارقت الحياة  
قبل ذلك الحين.

" سأتوقف هنا قليلاً إكراماً وتقديراً لروح روزا داعياً  
الله من أجلها أن يرزقها وإيانا الجنة ".

أتى موعد ولادة ميرى لمولودها الخامس والجميع في  
تشوق وانتظار لمعرفة جنس الطفل الذي يمنيان  
النفس أن يكون ذكراً لا أنثى, لكن حدث ما لا يتمناه  
الجميع كان المولد فتاة. تغاضيا عن الأمر واهتما  
بتسمية الطفلة ورعايتها، ونسيان هذه النكسة والدعاء

إلى الله أن يرزقهما في المستقبل طفلا يحمل اسم رومان.

سُميت الطفلة تينا, وعُرفت تينا بجلبها للحظ العاثر للعائلة؛ فعندما وُلدت ماتت ثلاثة من عائلة أقرباء ميرري ومن أولئك الثلاثة كانت أمها "روزا" بعد عناءها الشاق والطويل مع مرض السكري.

أصبحوا الآن خمسة فتيات كانوا كالجيش معًا متحابين متحدين مع بعضهم البعض, تمت رعايتهن بأفضل شكل من قبل ميرري ورومان اللذان كانا بالفعل على أتم استعداد للقطع من لحمهما من أجل تحضير العشاء لهن, كان عددهم كبيراً لدرجة دفعت ميرري العودة مجدداً للعمل وترك أطفالها في منزل ذويها.

تقاسما الخبز والماء وحرما نفسيهما في العديد من المناسبات من أجل إطعام أطفالهم, فصدقوني لا شيء يبكي العين أكثر من غيوم السماء المحملة بالمطر إلا حال وأحوال الفقراء!

وبعد مرور ثلاث سنوات على تلك الأحداث وتحديداً في عام 1999 أتخذنا قرار أنه حان الوقت للتفكير بالطفل الذي يحمل اسم رومان، وبعد أشهر من التفكير كان لهم ما أرادوه؛ ميري حامل، وهذه المرة بطفل جنسه ذكر بعدما استشارنا طبيباً مختصاً بهذه الأمور.

كانت الفرحة بحجم السماء ولا تسع الأرض. كان هذا الطفل سيحل جميع المشاكل التي تدور ودارت بين ميري ورومان، كان هو حلقة الوصل بينهما وسبب عدم افتراقهما.

- أعلم أنه صعبٌ جداً عليك وعلى روحك ما حدث لكن لا حيلة بيدي هذا ما كتبه الله لنا وها نحن نُكافئ نتيجة تحملنا وصبرنا على عدم ابتسام القدر لنا، فحمداً لله يا عزيزي.

- حمداً لله حبيبتي... نعم كان الأمر بالنسبة لي صعباً للغاية لكن ليس فقط علي بل عليك أيضاً؛ فأنتِ تحملتِ معاملي السيئة بعض الشيء من أجل الطفل الذي سيحمل اسمي فبارك الله بكِ يا حلوتي، وأدامنا متحابين هكذا.

- آمين.



- آمين.

- هل فكرت في اسم للطفل يا عزيزي؟

- أجل يا عزيزتي, سنسميه جونيور ما رأيك؟

- اسمٌ جميل اتفقنا.

لكن يبدو أن القدر لم يبتسم بالشكل الجيد لرومان وميري بعد, وإليكم ما حدث بالتحديد.

كان شقيق ميري مايكل وزوجته لويزا يسكنان في منزل ذويه, كانت هناك مشادات كثيرة تحدث بين ميري ولويزا؛ بسبب أن زوجة أخيها سيئة جداً في التعامل مع أبيها، وسيئة أيضاً في اللباقة وفي الكلام، كانا يتعاركان كثيراً باليدين واللسان ويقذفان الشتائم يساراً ويميناً وفي كل اتجاه. تخلت ميري عن العمل عندما عرفت أنها حامل بطفل, مما زاد المشاكل بينها وبين لويزا التي كانت دائماً ما تزعج فتيات ميري، وفي عدة مناسبات كانت تبرهن ضرباً وتقذفهن بأقذع الشتائم. كانت خبيثة جداً لدرجة أنها حرقت عنق تينا ابنة ميري الصغيرة, التي كانت تلهو وتلعب بجانب المدفئة التي وضع عليها وعاء من الماء للتسخين في أحد أشد أيام الشتاء برودة.

كانت هذه الشرارة التي ستولد مشاكل أكبر في الأيام القادمة بينهما.

كان رومان كعادته عندما يعود من العمل يطلق قدميه للريح -تعبير مجازي- للعودة لرؤية عائلته الثانية, الرجل الذي في مقام والده, زوجته وأطفاله, ليشاركهم الأكل في منزلهم وبعدها يجلس قليلاً لشرب الشاي المعتاد ثم يعود أدراجه إلى بيته هو وعائلته. كانت علاقة رومان بجاك جيدة جداً وطيبة ومبنية على الاحترام حتى لو اشتد المزاح بينهما, كانا يعرفان خط العودة ويعرفان جيداً ما يجرح أحدهما من الآخر.

ومنذ حادثة تينا بدأت المشاكل تكبر شيئاً فشيئاً حتى حدثت الفاجعة الكبرى, وقع بين لويزا وميري نقاش حاد تضمن شتائم وكلاماً بذيئاً كالعادة, كان مسرح الجريمة اللفظية حينها أعلى السلم الإسمنتي, وسرعان ما تحول الشجار من لفظي إلى جسدي ودفعت لويزا ميري الحامل بالشهر الرابع صوب السلم وسقطت على ظهرها وفقدت وعيها على الفور. سارع جميع الذين لم يستطيعوا فض الشجار بقذف لويزا وإنقاذ ميري.

- هيا أسرعوا، اتصلوا بالإسعاف وأخبروا رومان ليحضر فوراً.

وعند وصول ميري للمستشفى سارع الطبيب بالصراخ.

- بسرعة هيا إلى غرفة العمليات - لأن ميري كانت تنزف بشدة- حضروا الغرفة سريعاً.

انتظروا ساعة كاملة ورومان لم يحضر بعد وعند وصوله أتى الخبر الصاعق من الطبيب.

- أنا أعتذر لكن للأسف خسرت جنينها.

رد رومان مفزوع محاولاً عدم تصديق ما سمعه:

- ماذا! أتمازحني أيها الطبيب, لا تقل ذلك أرجوك!

- أنا آسف يا صديقي لكن هذه الحقيقة "إننا لله وإننا إليه راجعون" أعتذر مجدداً.

الجميع في ذهول وفي صمت وحزن، حتى إن رميت إبرة ستسمع صوتها من شدة الحُزن, كل محاولاتهم للمواساة باءت بالفشل. ما أفضع هذا الكوكب وما أقدر تصرفات البشر.

كانوا كلهم في حالة حزن ما عدا الشريرة لويزا, فحتى إن رميت إبرة في مكان تواجدها ستسمع صوتها بنغمة الشر والخبث!

رومان ينزلق بظهره الملتصق بالجدار ويدها على رأسه والدموع تتبلور في مقلتيه, أما البقية جاك وابنة رومان الكبيرة جودي ومايكل زوج لويزا الشريرة

يحضنون بعضهم البعض، يبكون بصمت والحزن يغلق حناجرهم مانعاً ظهور صوت البكاء.

قال رومان الذي لا يزال طريح بلاط ممر غرفة العمليات بعد فينة من سماعه الخبر وبعد أن هدى روعه قليلاً:

- أيها الطبيب هل هي بخير!
- أجل هي بخير.
- حمداً لله، شكراً لجهودك.
- هذا واجبي وعملي وآسف مرة أخرى على خسارتكم.
- أشكرك.

وبعد استيقاظ ميري واستعادة شيء من قوتها، صدمت بالصاعقة التي حلت على روحها بعد معرفتها بخبر وفاة جونيور بداخلها، فكان أول المتحدثين رومان.

- لا بأس عزيزتي إنه اختبار من الله لصبرنا أليس كذلك؟

الأهم أنكِ بخير بصحتكِ وعافيتكِ، لا تقلقي سننجب طفلاً آخر حسناً؟

ردت ميري بكلامٍ يصعب فهمه جراء نحيبها المستمر:

- لا أستطيع تحمل ما حدث يا رومان كان الطفل  
المنتظر يا رومان كنت انتظره بفارغ الصبر وبكل  
طاقتي، وها هو رحل بسبب امرأة شريرة لا يوجد  
بقلبها رحمة!

ذهل رومان مما قالته ميري ورد مصعوقاً بعد أن  
وثب عن كرسيه:

- ماذا تقولين؟ أنتِ لم تسقطي وحدك؟!  
من دفعك؟

ردت ميري بهدوء وملامح بريئة:

- إنها لويزا يا رومان... من غيرها سيفعل ذلك.  
- حسناً سأريكِ ماذا سأفعل بها هذه المرأة اللعينة.  
- لا رومان مهلاً انتظر لا تفعل!

والحق يقال جملة ميري الأخيرة كانت لغرض إبعاد  
الشبهات عما تبيته، فأكتفت هي بالتظاهر بأنها تريد  
أن تثني عزم زوجها عن إحداث شجار وجلبة في  
المستشفى، والأخير خرج من غرفة ميري كالمسعود  
وصاح بأعلى صوته:

- أين كنتم بحق الجحيم؟ وأنت أيها الرجل الضعيف  
ألا تستطيع السيطرة على زوجتك اللعينة؟

طأطأ مايكل رأسه وأجاب والخوف يتملك صوته:

- أهدئ يا رومان ميري أختي أيضاً... أنا لم أكن متواجداً أثناء وقوع الحادثة فأنت تعلم جيداً أنني سأكون في عملي في وقت الظهيرة!  
- سأريكم جميعاً لن أسامحكم!

قال ما قاله واتجه إلى مخرج الطوارئ وتبعه فوراً  
جاك وأخذ يصيح ملاحقاً إياه:

- انتظر يا رومان... تمالك أعصابك يا بُني فتلك  
الخسارة خسارة الجميع ليست فقط خسارتك هيا  
أجلس هنا لنتحدث.

أمسك جاك رومان حينها بصعوبة كبيرة وأجلسه على  
كرسي وبدء بالتحدث.

- بماذا سنتحدث يا عماه, بالطريقة التي سنتغاضى  
بها عن الخطأ!

- لا يا بُني عن طريقة تمالكك لأعصابك والبداية من  
الجديد.

- كيف سنبدأ بعد هذه الكارثة؟ يجب علينا محاسبة  
تلك اللعينة على خطأها, فلو كانت دموعي من  
دماء لشعرت بي أليس كذلك؟

- لا تقلق سنتخذ الإجراءات اللازمة بحقها, وأنا أفهم شعورك جيداً يا عزيزي... أصبر فقط فهذا ليس وقتاً مناسباً للشجار لدينا ميرى في الطابق العلوي تعاني وبحاجةٍ لنا.

- أتعديني يا عماء بفعل ذلك؟

- أعدك يا بُنى فقط تما لك أعصابك حسناً؟

ساتى لك ببعض الماء, انتظرنى هنا.

- لا سأذهب معك انتظرنى أنت.

ضحك جاك لبساطة بديهية رومان وقت غضبه، وكان يعرف جيداً أن المرء فى تلك الحالات بحاجة للاحتواء.

- هاهاها حسناً هيا تعال... عليك التحكم بأعصابك

فحسب خذ أشرب الماء, وسأجلب لك حقك لا تقلق

- عدنى بذلك!

- أعدك يا بنى.

وعند حلول المساء أخذت السماء لونها البرتقالي

لاقتراب غروب الشمس، حل وقت تفقد ميرى بعد

هدوء الأعصاب عند الجميع وبعدها هدأ روعهم دخل

رومان إلى غرفة ميرى قائلاً:

- كيف حالك الآن يا عزيزتى؟

- بخير يا عزيزي، لكنني أشعر بالعطش هلا جلبت لي شيئاً من الماء....؟
- حسناً حبيبتي سأحضر لك الماء.
- أشكرك.
- ألم يخبرك الطبيب متى سيكون موعد الخروج من هنا؟
- قال أنه باستطاعتي الخروج صباحاً في حال تحسن صحتي وتبدلها عن حالها الآن.
- حسناً هذا جيد سأذهب لأجري اتصالاً مع رئيسي في العمل كي أقتطع إجازة ليوم غد.

لا شك أن جميعكم أحس أن رومان رجل لطيف وصاحب قلب طيب جداً، ومرد ذلك تعامله الطيب مع زوجته بكل تحولاته النفسية، لكن إليكم دليلاً آخر على طبيته يا أصدقائي.

كان رومان ثريا جداً والدليل على ذلك ركوبه في كل سنة سيارة حديثة مختلفة عن التي قبلها شكلاً وحجماً وتطوراً، وعند عودته لوطنه الأم استغله أقرباؤه أسوأ استغلال أكليين نقوده رويدا رويدا، حتى تم إفلاسه وتآزم وضعه حينها، وتدهورت نفسيته وقرر البداية من جديد بعيداً عنهم جميعاً، لكن ليس بعيداً عن أمه



وأبيه, فهو وعائلته الآن يعتبرون عائلة فقيرة تماماً  
تأكل يوماً وتجوع يوماً... وهكذا دواليك.

- ها قد تم الأمر يا عزيزتي الإجازة قُبلت ورئيسي  
بالعمل دعا لكِ بالسلامة وأسفَ على خسارتك.  
- أرجوك لا تذكرني بخسارتي, شكراً له على كل  
حال.

- أعتذر حبيبتي, لكن أتتذكرين؟

"سنة الحياة"

- أتذكر يا عزيزي لكن أحتاج وقتاً لتفادي ذلك أنت  
تعلم هذا.  
- أعلم يا عزيزتي وسنتفادي الأمر سوياً أليس كذلك؟  
- أجل عزيزي.  
- سأنام هنا الليلة بقربك إن احتجتِ لشيء أيقظيني  
حسناً؟

- حسناً لنخلد للنوم إذاً

- اخدي أنتِ، سأطمئن أباك وأعود.

- حسناً لا تتأخر.

- حسناً.

- عماه, أنا سأمكث هنا الليلة ويستطيع الجميع الآن  
العودة للمنزل، ويعود من يريد ويستلزم وجوده هنا  
بكل تأكيد في الصباح، ما رأيك؟

- حسنًا يا بُنيِ اعتنِ بها جيداً.

- لا تقلق يا عماه.

- تصبحان على خير.

- والخير يسكنك عمي، عمت مساءً.

وفي ساعات الليل المتأخرة أيقظ كابوسُ المسكينة  
ميري مفزوعة غارقة في عرقٍ لم يرحم أي رقعة من  
جسدها إلا وبللها، فأطلقت صرخة غالباً سمع مداها  
في المستشفى بأسره، فنهض روماً مسرعاً لتدارك  
الأمر ومعرفة ما خطب ميري فقال وياده ترجف ولا  
تقوى على لمس ميري:

- ما بكِ حبيبتي!

ردت ميري والدموع تنهمر من عيناها كشلال:

- إنه جونيور يا رومان ألقى علي التحية وقال لي  
سامحي لويزا من أجلي.

أحضر رومان زجاجة المياه الواقعة على طاولة  
قريبة من يده اليمنى وبدأ بسكب الماء في كوب.

- أه يا حبيبتي، لا تقلقي إنه مجرد كابوس، هيا خذي  
رشفة من الماء وعودي للنوم، أنا هنا بجانبك لا  
تقلقي.

شربت ميري الماء ثم أخذت شهيقاً وزفيراً وقالت:

- لا يا رومان إنها رسالة من جونيور تدعو للسلام لا القتال.

- لا بأس حبيبتي هوني على نفسك... هيا عودي للنوم وستحسنين في الغد...

- حسناً....

عادت ميري للنوم وهي تبكي، وعاد رومان المسكين المتعب من عمله ومراسم دفن جونيور إلى نومه غارقاً من شدة تعبهِ، وحل الصباح أخيراً وتواجد الجميع للاطمئنان على ميري التي كانت تبدو حزينة بعض الشيء لكن بصحة جيدة وأفضل مما كانت صحتها عليه في الأمس.

- كيف أصبحتِ يا عزيزتي هل أنتِ بخير الآن؟

- أنا كذلك يا عزيزي حمداً لله أصبحتُ أفضل.

- حمداً لله، ها هم الأهل في طريقهم إلينا، لا

تشعريهم بحزنك فسيحزنون معك، اتفقنا؟

- اتفقنا.

وصل الجميع محملين بالعصير والماء لميري، كان الأكثر خوفاً على ميري هي جودي فسارعت سائلة:

- أنتِ بخير يا أمي؟

- بخير يا صغيرتي لا تقلقي.

أخذ جاك جودي وضمها على خصره واضعاً يده اليسرى على منتصف رأسها من الأعلى وقال مخاطباً إياها:

- إنها بخير "ما شاء الله" لا تقلقي أمك قوية جداً وستتفادى الأمر, الآن دعها ترتاح وكفي عن أسئلتك.

فردت ميري ضاحكة بعدما أرضت ابنتها بلمسة ناعمة على رأسها يفهم المرء أنها لتهدئة روعها:

- وأنا كذلك يا أبي لوجودكم بجانبني.

- أحبك يا صغيرتي...لطالما جعلتني فخوراً بك حتى في طريقة كلامك.

- وستبقى فخوراً يا أبي أعدك بذلك.

- هيا لنعد إلى المنزل.

تحضر الجميع واتكأت ميري على رومان وصعدا في حافلة مستأجرة ذاهبة من بوابة المستشفى إلى منزلهم. وعند الوصول كانت هنالك مفاجأة مخبأة لرومان وميري, ولكن قبل ظهور المفاجأة وعند عتبات السلم الإسمنتي تحديداً تذكرت ميري الموقف على الفور فهمست وسمعها رومان.

- كم أكره هذا المكان تحديداً
- وأنا كذلك يا عزيزتي لكن سنتفاداه، أليس كذلك؟
- أجل عزيزي.
- هيا لنصعد ببطء جرحك لم يبرأ بعد, على رسلك.
- و عند وصولهم عتبة المنزل قال جاك لميري:
  - هناك مفاجأة لك بالداخل لكن تمالكى أعصابك أنتِ ورومان كما اتفقنا حسناً؟
  - حسناً يا أبي.
- و عند دخولهما إلى المنزل تفاجئاً بوجود لويزا جالسة بحالة مزرية ويبدو عليها الندم فصاحت ميري على الفور:
  - ماذا تفعل هذه اللعينة هنا!
  - على ماذا اتفقنا يا عزيزتي؟
  - فردت ميري وهي مرغمة على تقبل ذلك:
    - حسناً يا أبي.
- قالت لويزا:
  - أرجوكِ سامحيني يا ميري لم أقصد ذلك صدقيني.
  - لا أريد التكلم الآن بشأن هذا الأمر اغربي عن وجهي.

- أرجوك يا ميري لا أستطيع النوم بالليل من شدة ندمي.

- هذه مشكلتك ليست مشكلتي.

وركعت لويزا تحت أقدام ميري وبجانب أقدام رومان بالضبط فهمس رومان بأذن ميري:

- لا عليكِ حبيبتى لننسى الماضي، سامحها.

- حسناً... قفي سامحتك.

إن أفضع وأساء الأكاذيب التي يسمعها المرء من شخصٍ مُرتاح نفسياً وحياتياً :

"الحياة جميلة".

و إن أصعب ما في الأمر يا أصدقائي أن تكون مرغماً على شيء لا تريده، كما أرغمت المسكينة ميري على مسامحة الشريرة لويزا، لكن التسامح لا يعني أنك ضعيف، التسامح يجعلك الطرف الأقوى ويضعف من هو أمامك خجلاً، فكما شاهدنا نسيت لويزا جبروتها وشرها وقوة شخصيتها وضعفت من أجل أن تسامحها ميري، لكن بقي رومان مغلولاً بعض الشيء فقرر ألا تذهب ميري إلى بيت والدها ما دامت لويزا هناك، ووافقت ميري على فكرة رومان لتجنب المشاكل بينها وبين لويزا مجدداً،

وتذكرت على الفور كلمات إحدى الأغاني لأحد الفنانين: "ابعد عن الشر وغني له".

ميري لم تبتعد عن الشر فقط بل ابتعدت لفترات كانت طويلة نسبةً لتواجدها كل يوم في منزل والدها. أحس الجميع بالفراغ من بعدها وبعد أولادها؛ فكان صوتهم يملأ المنزل ويحيي الجدران، جاك في حالة انهيار، وهو نفسه الذي قرر منع دخول لويزا إلى منزله بعد الآن، وإن أراد مايكل القدوم فعليه القدوم وحده معزراً مُكرماً. حزن مايكل لقرار والده لكن كان موقناً أنه لمصلحة الجميع، فالتزم بزيارة أبيه بين الفترة والأخرى.

كان لجاك نصيب من كأس المر قبلهم، فقد مرضت روزا بذاك المرض الخبيث، فسيطر الحزن على المكان وخيم الصمت على أفواههم وبعد فترة قليلة وصراع مع المرض توفيت روزا، ونزع من روح كل من يحبها قطعة كبيرة. بكت ميري لعدة ليالٍ، وجلس جاك عن العمل لأشهر، وبدأ ظهره بالانحناء والتقوس شيئاً فشيئاً ورومان حزن على فراق روزا وحزن أكثر على حزن ميري وأطفاله الذين كانوا متعلقين وبشدة بروزا المرحومة.

رغم وفاة روزا ما زال الجميع بمن فيهم رومان وميري يحلم برؤية صبي من ميري. يزداد الإلحاح يوماً بعد يوم تارةً يختفي وتارةً يعود ليضرب بشدة في حديثهم, حتى فتياتهم الصغيرات كن يتمنين رؤية أخٍ لهن طال انتظاره. في يوم من الأيام وبعد أن اشتد الحوار بين رومان وميري قررا المحاولة مجدداً لعل وعسى أن يكتب الله لهما التوفيق في هذه المرة.

- سنحاول يا عزيزتي ولن تكون المحاولة الأخيرة, أعلم أن الحمل عليكٍ ثقيل للغاية نفسياً وجسدياً, لكن دعينا نحاول مجدداً أشعر أن القدر سينصفنا هذه المرة.

- سنحاول يا عزيزي ولن نفقد الأمل أعدك بذلك, الحمل ثقيل على الجميع يا عزيزي فلسنا الوحيدان اللذان يتوقان لرؤية صبي, انظر إلى أبي وأطفالنا وتذكر أمي التي توفيت وهي تتوق لرؤية ذلك الصبي.

- أعلم ذلك لذا تأكدي أن القدر سينصفنا، وأن الله سيكرمنا، وسننال مرادنا بإذن الله، تأكدي من ذلك.  
- "ونعم بالله" إن شاء الله.

حملت ميري وأصبحت في الشهر الخامس والجميع متخوف من أن تكون فتاة، والجميع كذلك يؤمنون



بحظوظ أن يكون الجنين صبيًا. ميري ورومان يوشكان  
على المغادرة إلى الطبيب في وقتٍ صدف به تواجد  
لويس وسوزي للمساندة النفسية والعاطفية.

ذهب رومان وميري إلى الطبيب وقلبهما يغمره  
الشوق والحماس من أجل معرفة جنس المولود. كل  
خطوة في الطريق كانت عبارة عن ألف خطوة ذهنيًا،  
كل خطوة كانت تخز نفسيهما كوخزة الإبرة. كانت  
المسافة طويلة نظريًا، فتارةً تشعر أنهما يوشكان على  
الركض، وتارةً يقفزان من الشوق الذي يغمرهما،  
وبعد عناءٍ كبير وصل رومان وميري إلى الطبيبة  
لتفحص الجنين المرتقب.

قالت الطبيبة لرومان:

- تفضل يا سيد انتظر بالخارج وفي حال ظهور  
النتيجة سنستدعيك ونطلعك عليها.
- حسنًا... جهودك مشكورة أيتها الطبيبة.

انتظر رومان في الخارج مُدة تقارب ربع الساعة،  
كانت الدقائق طويلة ومتعبة لرومان. صال وجال في  
الممر مرارا وتكراراً، حالته في تخبط وروحه في  
تشوق هل هو صبي أم فتاة مجدداً؟

وإن كانت فتاة هل سيحبها فعلاً؟

وبعد أن طال انتظاره ها هي الطبيبة تخرج مبتسمة  
مما جعل رومان يشعر بالتفاؤل.

- تفضل يا سيد لترى النتيجة.
- هل هو صبي أم فتاة؟
- مفاجأة تفضل ألق نظرة بنفسك.

تحمس رومان للغاية، كانت قدماه ثقيلتان للغاية من  
شدة خوفه، فدخل رومان بخطوات خفيفة وكانت  
النتيجة على الطاولة، ميري مبتسمة، الطبيبة توزع  
ابتسامات حانية رأسها، رومان بدأ بالابتسام تلقائياً،  
أمسك النتيجة بكلتا يديه وهما ترتجفان، وعندما رأى  
النتيجة سقطت الورقة من يده، فهل يا ترى المولود  
القادم فتاة؟

جلس عند قدمي ميري وحضنهما وبكى قليلاً فرحاً،  
وميري بدورها قامت باحتضان رأس رومان السعيد  
الباكي.

نعم أيها السادة إنه صبي هذه المرة، رزقهم الله  
مرادهم وأنصفهم القدر. هذه المرة كانت الفرحة أكبر  
من كرة تحتوي سبعة مليار شخص. رومان بدوره  
كان يواجه صعوبة في النهوض، كأن جبلاً تزحزح

عن صدره. وميري سعيدة للغاية وتشعر أنها فعلت ما  
توجب عليها وأسعدت رومان أخيراً سعادةً كبرى كان  
ينتظرها منذ زمن.

- أشكر جهودك أيتها الطيبة لا أعلم كيف سأشكرك  
من شدة توترتي وسعادتي، لن أنسى هذا اليوم  
وجهدك بتاتاً.

- أشكر الله يا سيد... هنيئاً لكما.

- أشكر الله ثم أشكرك جزيلاً.

انصرف رومان وميري عائدين محملين بخبر قد تعم  
الاحتفالات من أجله لا محالة، عادوا أدراجهم مخبئين  
خبراً يوازي وجبة غداء لأحد الفقراء سعادةً.

"لا أقصد التمر على الفقراء وحالهم بل أقصد بأنني  
أعرف هذا الشعور جيداً، كوني ترعرعت فقيراً".

فما كان أطول طريق الذهاب، إلا أن طريق العودة  
كان أطول. فأخذ رومان وميري يتحدثان لعل  
الحديث سيختصر كثيراً من خطوات الطريق. بدأت  
ميري الحديث دون سابق إنذار وفي حالة جعلت  
رومان يستيقظ من تحديقهِ بالسماة والضحك فقالت:

- أنصفنا القدر أخيراً يا عزيزتي.

- أجل، حمداً لله يا عزيزي.

- حمداً لله هل سنفكر باسم في أثناء عودتنا؟
- ما رأيك بببتر؟
- جميل جداً عزيزتي اتفقنا.
- أمل أن لا يحدث شيء يفسد علينا فرحتنا يا رومان...
- كفاك يا عزيزتي, أتعلمين شيئاً؟

إن الله حرمنا من جونيور ليختبر صبرنا، وحين رأى  
رضانا الحتمي على ما قسمه وكتبه لنا ها هو يكافئنا,  
فبالتأكيد هو من سيحمينا ويحمي فرحتنا ولن يجعل  
أحد يعكر صفوها علينا, ثقي بذلك عزيزتي.

- أه, كم أراحي كلامك يا عزيزي, وكم يجعل المرء  
هذا الكلام خصيصاً أكثر حُباً وتقرباً من الله!
- نحمد الله على كل حال يا عزيزتي.
- حمداً لله.

ببتر إذاً على أعتاب القدوم, رومان وميري الأكثر  
شوقاً لقدمه, من في المنزل شوقهم أكبر لمعرفة  
جنس المولود, أقدام رومان وميري شوقها أكبر  
للوصول, من هذا الحين إلى ذلك الحين لنا أحداث  
قادمة.

## الفصل الثاني.

إنه العام ألفين ميلادياً. رومان وميري فقدا الكثير  
على الشق الأول؛ رومان فقد أباه وأمه وعلى الشق  
الآخر فقدت ميري أمها, وكان الصبر على حافة

أن يفقد منهما لولا قدوم بيتر المنتظر. أقدام تسير بصعوبة، نفوس تنتظر بفارغ الصبر، أمانى كثيرة تمت المطالبة بها من الله، القوة لمواصلة السير، قدوم الخبر المرتقب، الجميع في تخبط حتى الجنين الذي بداخل ميري. وصولٌ تم بصعوبة، وصبر امتد لسنوات للواصلين وساعاتٍ للمنتظرين، الجميع في المنزل يصلون ويجول من جهةٍ لأخرى، وفي داخل كل واحدٍ منهم يوجد سؤالٌ واحد لا ثاني له: هل هو صبي؟

عند اقتراب وصول رومان وميري كان الأغلب ينتظرهما على شبابيك المنزل، والآخرين في الشارع جالسين مراقبين للطريق. رومان وميري يخطوان الخطوات العصبية مبتسمين وملاحمهم تعبر عن الرضى، الأغلب رآهما ورأى ابتسامتهما، لكن لم تفسر جيداً حتى الآن هل هو شعور بالرضا أنها فتاة، أم شعور بالرضا الذي تطغى عليه السعادة لأنه صبي أخيراً؟ رومان وميري على أعتاب الوصول إلى المنزل والجميع يفسح الطريق لهما للدخول وإطلاعهم على ما حدث معهما. كانت الأسئلة تنهمر عليهما

وهما صاعدين للمنزل فرفضاً التحدث إلا في  
الأعلى وأمام الجميع.

جلس الجميع منصتاً، وجلست ميري منهكة،  
ووقف رومان متكئاً على الحائط وسانداً ظهره إليه.  
قال جاك والصبر ينفذ منه:

- أخبرنا يا بُني ماذا قالت الطيبية؟

- قالت أخباراً طيبة.

- حمداً لله يا بُني...وما تلك الأخبار؟

نظر رومان نظرة السعيد الأكثر سعادة في العالم إلى  
ميري وبادلته الابتسامة هي كذلك، أحس الجميع  
حينها بقرب خبر جميل، الجميع يصرخ "هيا أخبرانا"  
أشاح رومان وجهه صوب الجميع وقال:

- إنه صبي.

فرح الجميع وصرخوا محتقلين إلا أن جاك جثا على  
ركبتيه كأنه لا يصدق ما سمعه وقال:

- هل هذا صحيح يا ميري؟

- أجل يا أبي.

ألقي برأسه على قدمي ميري وبدا عليه أنه على  
وشك البكاء فرحاً، وقال بنبرة ترافقها تنهيدة:

- آه حمداً لله.

كانت الفرحة الغامرة بمقدورها إغلاق الأفواه وفتح  
الأعين سعادةً وبهجة. كل من كان موجوداً هنا رومان  
وميري حتى الجدران تشعر لوهلة أنها تتمايل تمايل  
السكرى فرحاً!

- مبارك يا أبنائي، جازاكما الله بقدر صبركما  
الطويل، ورزقكما الذرية الصالحة، كونا على قدر  
المسؤولية.

- بارك الله في عمرك يا عمي، نعدك بذلك.  
- بارك الله بك أبي، أعدك أن أكون عند حسن ظنك  
كما عهدتني.

اندست لويزا بين الحشد بعد أن سمح لها جاك  
بالتواجد في هذا اليوم فقط، وقالت لميري:

- مبارك يا ميري أعتذر عما بدر مني سابقاً وتأجيلي  
لفرحتك التي أراها بوسع الأرض الآن، أدام الله  
فرحتك وأعدك لن أفعل شيئاً هذه المرة هاهاها.

شعرت ميري أن لويزا تمثل دور الطيبة هنا، وهي  
تعلم جيداً أنها ممثلة بارعة، ناهيك عن أنها ما عادت  
تصدقها، وتختصر الحديث معها لشدة اشمزازها  
منها؛ فالمرء يصل في نهاية المطاف -وعندما يزداد  
وعيه- لمرحلة لا يصدق فيها أحداً، ولا يُعاتب أحداً



على أفعاله؛ لأنه سيصبح مئة بالمئة يتوقع كل شيء  
من أي فرد يراه أو مر بخياله. ألا يشعر بعضكم  
بالخزي حين يكون سبباً في قتل حياةٍ في داخل أحدهم  
هكذا؟

أما بالنسبة لرد ميري فردت بصيغة تمثيلية كما تفعل  
لويزا دوماً:

- هاهاها, أشكرك يا لويزا, هذا من طيب أصلاكِ  
شُكراً لكِ.
- مبارك لك أيضاً يا رومان.
- أشكرك يا لويزا.
- مبارك يا رومان "يتربى بعزك" وجعله الله سنداً  
لكِ.

حتى رومان ما عاد يطيق مايكل، فكانت ردوده  
وتصرفاته معه توضح أنه لا يريد الاحتكاك به بأي  
شكل كان سواء كان حديث أو مصافحة عابرة أو  
حتى لمحة تحدها صدفة ما, فلو رآه رومان في  
الشارع كان غير طريقه بالفعل. كان يتوجب على  
رومان الرد هذه المرة لكن لم يتوجب عليه الرد  
بالطريقة المناسبة فرد ببرود:

- أشكرك يا مايكل جزيلاً... آمين.

- أختي الحبيبة أعلم أن أمي لو كانت هنا لكانت فرحت فرحة كبيرة, لكنها الآن فرحة في السماء وتدعو لكِ بالسلامة, مبارك يا أختي.  
- أه يا أخي...رحم الله أمي... أعلم ذلك يا أخي كانت لترقص من فرحتها لو تواجدت هنا, بارك الله بك.

وهي كذلك, كان عمرها أقصر من تلك الفرحة التي دامت لساعاتٍ فقط. لم يكن أحدٌ يرتقب بشغف قدوم بيتر سوى رومان وميري وأطفالهم, وبالتحديد نينا من بين الأطفال الخمس وستعلمون لماذا لاحقاً.

وفي صدفه ليلية ورد لرومان اتصال، كان من أخيه ريكي, على ما يبدو أن أحداً أخبره وأحب أن يبارك لأخيه أو كانت بالفعل صدفه وأحب أن يطمئن على أخيه وأحواله. ريكي الذي يملك الآن ثلاثة أولاد وابنتان, كان هو أيضاً واقفاً بجانب أخيه في محنته وانتظاره لصبي، كان دائماً يحفزه بجرعاتٍ من الصبر والمحاولة, وهو لا يعلم أن ميري الآن حامل لكن بالنسبة لما حدث اليوم... سأترك لكم نص المكالمة الهاتفية.

- أخي, كيف حالك؟

- أنا بخير يا ريكي ماذا عنك؟
- أنا سعيد جداً, سعيد من أجلك يا أخي مبارك لقد وصلني الخبر.
- سعيد لسعادتك أخي, لكن عن أي خبر تتحدث؟
- كفاك تحاذقاً أنت تعلم!
- أعلم ماذا؟
- بحق السماء يا رومان!
- أتقصد خبر الجنين الصبي الذي تحمله ميري؟
- ماذا, ماذا قلت للتو؟
- الجنين الصبي الذي تحمله ميري.
- أتمازحني!
- لا, أقسم لك, ذهبنا للطبيبة اليوم وقالت بأن ميري تحمل في بطنها صبي, أليس ذلك الخبر الذي سمعته؟
- أتعلم ماذا!
- لقد صدمت حقاً فكنت أمازحك لتوي... كُنت أجهل أن ميري أجرت فحوصاً اليوم.
- أنت حقاً تتحاذق, أم أنها فعلاً صدفة غريبة.
- وهي كذلك, سعدت جداً بهذا الخبر.
- وأنا سعيد لسعادتك والله.
- أتذكر يا أخي؟

- أذكر ماذا يا أخي؟
- ليس بين الأخوة حسابات!
- هاهاها, أجل أذكر, أدامك الله لي يا أخي.
- أدامنا لبعضنا, آمين.
- آمين.
- سأتي عما قريب لأزورك يا أخي, إلى ذلك الحين وداعاً الآن.
- وداعاً أخي أشكرك على اتصالك.
- العفو, بلغ التحيات والتهاني لميري.
- حسناً يا أخي سأفعل.
- دمت طيباً.
- وأنت كذلك.

ربما نفقد الكثير ويبقى في حوزتنا القليل, لكن هذا القليل قد يكون هو سبب بقائنا على هذا الشكل من التفاؤل والصمود, ربما هذا القليل هو العضلة المتبقية في أقدامنا, البسمة الخافتة في روحنا, على الرغم من أنه يبدو بلا ثمن, لكنه لا يقدر بثمن.

كانوا عالقين في زحام الأسى ومتشبثون بطرف حبلٍ من الأمل, بُترت أذرعُهُم وذبلت أقدامهم, حسناً...

لنعد إلى الكثير القادم. الجميع ينتظر الآن بيتر، ميري أصبحت في الشهر الثامن واقترب موعد ولادتها. اثنتان من أطفالها تحرسانها في أي مكان تذهب إليه داخل أسوار البيت، واحدة على يسارها والأخرى على يمينها؛ لمساندتها على خطو الخطوات بصعوبة أقل، وواحدة أخرى كانت كبرج المراقبة لكن مراقبتها كانت فقط على أي خطر يقترب من أمها، وواحدة أخرى مراقبة لرومان في حال قدومه لتنتقل إلى حضن أبيها الدافئ، كانت تلك المراقبة تريشا مفضلة أبيها، والجميع يتساءل ماذا كانت تفعل الأخيرة، كانت تساعد خالاتها في ترتيب المنزل وتحمل المسؤولية بمساعدة الفتيات الخمس يومياً بجدول تدويري؛ أي كل يوم هناك فتاة مختلفة تساعد في الترتيب والثلاث الأخريات يتبادلن الأدوار والمهام، وتريشا لن تتنازل عن منصبها وأبوها يساندها على ذلك بعدما تلقت الكلام البذيء لعدم المساعدة.

ها هو الشهر الثامن يقترب من الانتهاء وميري تشعر بألم أكبر شيئاً فشيئاً، وفي يوم إجازة رومان استغل الفرصة الأخير ليسأل ميري عن ماذا تشعر.

- هل أنت بخير يا عزيزتي؟

- ليس كثيراً يا عزيزي هنالك ألم شديد قادم مع الوقت.
- لا بأس يا عزيزتي, أنا هنا بجانبك لا تقلقي، حسناً؟
- حسناً يا عزيزي.
- تحدثت مع رئيسي في العمل من أجل تقليل وقت عملي وإعطائي إجازة في حال اقتراب ولادتك.
- حسناً... وماذا قال لك.
- إنه رجل طيب جداً، وافق على الفور وهنأني مسبقاً.
- هذا جيد, لكن ليس هنالك رجل يحمل طيبة مماثلة لطيبتك يا عزيزي.
- ابتسم رومان ورد متلعثماً والخجل يتملكه:
  - هاهاها أدامك الله لي.
- لوهلة أستغرب هذه الجملة "أدام الله هذا الشيء وذاك شيء وإلخ..." ألا يعلمون أن ليس هناك أشياء تدوم سواه؟
- ينتابني الحنق عندما يقولها لي أحد، كم هي مقززة وباعثة للاشمئزاز بداخلي, ما أغبى تلك الجملة".
- حتى الأرض التي هم ضيوف فيها وعليها لن تدوم, وسيعرفون ذلك لاحقاً.

- أمين يا عزيزي.

وبعدما سارت الأحوال على أفضل شكل لميري من أجل ولادتها القريبة، ها هو الموعد يقترب والكل في انتظار قدوم الصبي المنتظر منذ مدة طويلة "شابوا حتى هذه اللحظة". ميري في الشهر التاسع وبدأ الثقل في بطنها يزداد، وتمشي كثيراً صباحاً مساءً لتسهيل حركة الجنين بداخلها وتقليل مدة انتظارها، وفي إحدى الليالي الهادئة عنواناً، والمتخبطة داخلياً ومضموناً وانتظاراً، صاحت ميري بكل قواها استنجاداً بمن حولها، بعدما بلغ الألم أشده، استيقظ الجميع من السبات إلا رومان الذي ما كان ينام أصلاً من خوفه عليها وعلى صبيه الأول المنتظر، قال رومان وهو في حالة خوفٍ شديد:

- هل أنت بخير عزيزتي؟

ردت ميري وبالكاد كان يخرج صوتها من شدة ألمها:

- لا، لا، إن الألم يشتد، على ما يبدو أن الصبي سيولد الليلة.

- حسناً، حسناً يا عزيزتي، اتصلوا سريعاً بالإسعاف.

هرعت جودي للاتصال وهرع رومان لإتمام  
المكالمة.

" نواجه حالة طارئة, زوجتي على الأغلب ستلد الليلة  
وموقعنا.....".

وأتى الإسعاف مسرعاً ونقلت ميري للمشفى وكل  
عائلتها بجانبها، حتى أولادها الصغار الذين بدأت  
ملاحظتهم تكبر, جودي أكبرهم أصبحت الآن في  
عامها الحادي عشر، بشرتها بيضاء جسدها يعنون  
على عمر أكبر من عمرها الحقيقي, مليئة الهيئة  
وقصيرة القامة، فإن حاول المرء حملها ستنفجر رثاه  
بسبب وزنها, وجنتاها منتفختان، عيناها سوداء في  
الظلمة وبُنَيَات تحت ضوء الشمس, عصبية المزاج  
حقودة الطبع من صِغَرها, أما البقية تنازليا حتى سن  
الخامسة والحديث هنا عن تينا والبقية كانوا ضعاف  
الهيئة وجسدهم هزيل بعض الشيء يتشاركون صفة  
مشتركة واحدة ورثوها عن أبيهم وهي العينان البنية  
السوداء التي يصعب التمييز بين لونها.

رومان يصول ويجول كعادته متوتراً منتظراً  
الخبيران السعيديان أولهما سلامة ميري والثاني سلامة  
طفله, وبعد مدة بدت طويلة، تمت الولادة بنجاح



وبسلامة كليهما. حملت ميري الطفل بيدها وبكت  
بكاء شديداً من الفرح.

في الخارج لا أحد يعلم المستجدات إلا عند خروج  
الطبيبة من غرفة العمليات, وها هي تخرج مبتسمة  
متوترة من كمية الورق الكثير الذي بيدها, لتتنقل  
الخبر السعيد إلى من ينتظره. لاحظها الجميع من  
بعيد وهرعوا نحوها, فكان السؤال الأول من نصيب  
رومان الذي كان يركض ركضاً يستطيع أن يسبق به  
جيسي أوينز أو يوسين بولت!

ركض ذلك الركض في عمره الذي مضى منه حينها  
ستة وأربعون عاماً كان هذا الأمر طريفاً للغاية وبيت  
السعادة في نفس المرء؛ فيستطيع العالم بأسره أن  
يجزم بأنه طيب القلب وبسيط الروح كذلك. ألقى  
سؤاله وهو في حالةٍ يُرثى لها، كان يشهق ويزفر  
بسرعةٍ كبيرة جعلت الكلام يخرج من فمه بصعوبة  
لكن من حسن حظه كانت الطبيبة تعلم أنه سيسأل هذا  
السؤال.

- ماذا هنالك أيتها الطبيبة أخبريني طمئيني.

ردت الطبيبة والضحك يملأ فمها ويغمر عينيها:

- مبارك يا سيد, السيدة بخير وكذلك الصبي.

كانت الفرحة عارمة في صدر رومان لدرجة أنه شكر  
الطبيبة متلعثمًا ليتفادى الكلام ويحتفل بقدم مولوده,  
ومن ثم أطلق صرخة هزت جميع جدران المستشفى،  
لكن الجميع آنذاك راعى شعوره وفرحته، فما نظروا له  
إلا نظرة مبتسمة باعثة للتهاني الصامته.

- أشكر جهودك أيتها الطبيبة ولن أنساك, أعدك  
"بالحلوان" الذي تستحقين لكِ ولطاقمك المجتهد.
- هاهاها, هذا من لطفك يا سيد مبارك مجدداً.
- أشكرك, أشكرك.

عانق رومان فتياته الخمس بعدما عانق عمه جاك  
عناقاً انهمرت وسطه دموع الفرح, دموع كانت أشبه  
بالزخات المتفرقة, تذرف ثم تجف ثم تعود.....

الجميع في سعادة لا توصف، كذلك الجدران التي لا  
تشعر -والتي ستشعر فيما بعد أفضل من بعض  
الأشخاص يا أصدقائي- كانت تهنى رومان وعائلته  
على طريقته الخاصة؛ فكلما اقترب أحد منهم إليها  
تتحول من حالة خشنة لناعمة، وبهذه الطريقة  
تطبب على أجسادهم المنزلة, لا أعلم ما مشكلتي  
مع الجدران هي بالأحرى وكي أكون صادقاً ليست  
بمشكلة إنما أمرٌ يعتبره الأغلب عجبياً, لكن بالنسبة  
لي وبحديثٍ لن أطيل به عليكم, أشعر أن الجدران

تسكنها أرواح؛ لا أقصد بالأرواح قبائل الجن إنما أرواح مشابهة للبشر وأحياناً تشعر بشكلٍ أطيب منهم كما أخبرتكم...

لكن هل بيتر سعيد أو بالأحرى هل سيكون سعيداً؟ سؤال لن نجد له إجابة إلا في قادم الأحداث.

رومان نفذ وعده للطبيبة ولكل من وعدهم بوعده مماثل حين يأتي ابنه إلى الحياة الدنيا، كان مجنوناً مولعاً به قبل قدومه، حيث كان يذهب للسوق بين الحين والآخر ليبتاع له أشياء تحضيرية كالملابس والألعاب وغيرها.....

اعتنى رومان وميري ببيتر جيداً حتى الفتيات كن يعتنين به جيداً، لا سيما لويزا التي تحولت من شريرة إلى لطيفة، لكن لم تدم لطافتها إلى لعام وبعض عام. في عيد ميلاد بيتر الأول لم يكن الاحتفال به كبيراً بسبب صعوبة المعيشة حينها، وتراكم الديون على ميري ورومان.

وفي صباحٍ باعث للصقيع، كان المساء الذي سيليه قطبي المناخ، وشمس الصباح التي يحاول الأغلب استغلال أشعتها لتدفئة نفسه لم تجد نفعاً؛ لأن الغيوم وحدها من استفادت من الدفء، أغصان الأشجار

المقطوعة والمبلة التي حاول رومان مراراً وتكراراً  
أن يشعلها لم تجدِ نفعاً كذلك, كلها صفات يومٍ من  
فصلٍ يحمل العناء للفقراء بشكلٍ سنويّ, قد يرتدون  
الكثير من الملابس, لكن ما فائدتها وهي هرمة  
ومشقوقة في الكثير من تفاصيلها؟

ذلك الشق حينما يمر به الهواء فإنه ينبعث من داخله  
بشكلٍ مركز، مما يجعله أكثر عناءً لصاحب قطعة  
الملابس الممزقة تلك. صحيحٌ أنها تستر عورتهم لكن  
ليتها تستر بردهم، وكم أتمنى هذا من بطين قلبي  
الأيسر قبل الأيمن. ربما أبدو درامياً بشكلٍ غير  
مسبوق لكن هذه حقيقتي أنا شخصٌ عاطفيٌ للغاية  
مشاعري مُر هفة لا تتحرك إلا لمن يستحقها لذا  
دعوني أكمل...

كم ينتابني الحزن حينما تخطر في بالي وخيالي  
صور ومشاهد لفقراء يشعرون بالبرد، تمر في الوقت  
نفسه لقطات ومشاهد لأشخاصٍ جالسين حول مدفئة،  
يشربون مشروباً ساحناً واضعين على أجسادهم  
البطانيات الدافئة، حينها أيقن أنه في كثيرٍ من الحالات  
يفتقد العالم للعدل، هذا حال الفقراء في الشتاء  
بالمناسبة، أما حالهم في الصيف... أه حسناً كما  
تريدون، سأخبركم!

سأكتفي بقولي أنهم كمن رُمي في صحراء قاحلة  
جافة, حالات عديدة لانصهار الدماغ من أشعة  
الشمس؛ لعدم وجود غطاء على رؤوسهم. لا أريد  
قول قبة لأنها باهظة الثمن بعض الشيء تفوق  
قدرتهم، ولن يفضلوها على الطعام في حال تواجد  
النقود، التي قلما تتواجد هي والطعام في كلا  
الفصلين, يثير حفيظتي تساؤل: لماذا الأغلب  
صامتون؟ هل يرضيكم حالهم؟  
حُباً بالله هل بالفعل يرضيكم حالهم؟  
حسناً هذا يكفي...

لنعد ليوم عيد ميلاد بيتر, الذي كانت فيه المشاعر  
حبسية والأفكار محصورةً بداخل العقل, وبعد جلسةٍ  
يكسر هدوءها صوت التلفاز تقدمت ميري فجأةً  
وقالت لرومان -وهي تحمل بيتر بحضنها وتتنظر له  
في كل مرةٍ تتفوه بكلمة:

- ها هو يكبر يا عزيزي, ويكبر معه همه. الشيء  
الذي تمنيناه منذ سنين قد يهدمنا ويضعفنا.

كان رومان مذهولاً لما تقوله ميري, لكنه تمالك  
أعصابه حينها وقال بصيغة يحفها الاستحغار:

- لا تقولي هذا بتاتاً, إنه لخير لنا بالتأكيد, إنها فترة  
وستمضي لا تقلقي, وأنا متأكد أن أفكارك ستتغير  
في قادم الأيام.
- أتمنى ذلك.
- وأنا أيضاً.

تأكد وتوقع رومان كانا في محلهما, ففي عيد ميلاده  
الثاني كان الاحتفال كبيراً للغاية وصاحباً, لكن قبل  
الدخول بالتفاصيل هناك سبب أدى إلى ذلك بكل  
تأكيد؛ لم يكن السبب وفرة النقود فحسب. كان بيتر  
يعاني من التهاب "صّرتة" وغالباً ما تنزف دماءً حتى  
ذهب رومان وميري إلى الطبيب وحُلت تلك المشكلة,  
وهذا سبب مباشر لذلك الاحتفال الكبير. شعرا لوهلة  
أنهما قد يفقدانه بعدما فقدوا الكثير حتى رُزقا به. شعرا  
بقيمته فأخرجوا جميع الأفكار التي تدور بذهنهم وفكروا  
به وبسلامته، وفي إعادة التفكير جيداً وملياً, لا أعلم  
لَمْ يلزم التفكير. شعرت لوهلة أن ميري تفكر في  
جعل أحدٍ يتبناه لا أعلم لماذا شعرت بذلك فإن أردت  
أن أحسن الظن لقلت عنها أنها ليس بمقدورها العناية  
به, وأتمنى أن تكون فكرتي الثانية هي الصحيحة...!

لنعد للحفل إذاً.

كان صاحبها جداً، ففي حين أن الحفل الأول كان يحتوي على كعكة عيد ميلاد واحدة كان هذا الحفل يحتوي على ثلاث. وتمت دعوة أناس أكثر عدداً من الحفل الأول وبكمية أكبر بكثير قد تكون مضاعفة. الجميع كان فرحاً والبسمة لا تفارقهم، بسمة رسمتها سلامة بيتر وإتمام عامه الثاني. كان مدلاً كثيراً بين الجميع خصيصاً بالنسبة لأخته نينا، فهي من قامت بتربيته والاعتناء به أكثر من ميري التي كانت أغلب الوقت ما تتشغل كثيراً لساعات، تحملت نينا المسؤولية على أكمل وجه، أما بالنسبة لميري كانت تعمل كخادمة في البيوت، رومان كان يعمل حارساً لمبانٍ ليلاً؛ كي يحصل على راتب مضاعف، فقد كانت الحياة صعبة للغاية بالنسبة لرومان وميري. امتدت هذه الصعوبات لسنتين واشتدت حتى أرغمتهم على الابتعاد.

نعم إنها لويزا يا أصدقائي، كعادتها لا تستطيع الجلوس مرتاحةً إلا إذا افتعلت المصائب. كانت دائماً تقول لميري أن زوجك سكير وله معارف شتى من النساء ويقوم بأعمال قذرة معهم، أوشك ميري ورومان على الطلاق من وراء هذا الافتراء الذي افتعلته لويزا، لكن فطنتهما جعلتهما يتماسكان من أجل أطفالهما، وبدء حياة جديدة بعيداً عن لويزا تحديداً، وبعيداً عن فكرة الطلاق

التي عادت للظهور للمرة الثانية بعدما كانت متداولة في  
الفترة التي توفى بها جونيور وما بعد ذلك وصولاً لنبا  
حمل ميري ببيتر وانقطاعها وعودتها مجدداً الآن.  
وما شجع رحيلهم هو آخر حوار دار بينهم بالإضافة  
إلى مايكل.

في حوار رباعي مثير دار بين ميري ولويزا ورومان  
ومايكل أمام منزل رومان بالتحديد اشدت الحوار وتهافت  
الناس على شبابيك منازلهم ليروا تلك الوقائع التي  
أستطيع أن أخصها بهذا الحوار.

- فكرتي لن تتغير عن شخصك بتاتاً, ما زلت أحرق  
في عيني ولا تستطيع ضبط زوجتك ولو حتى  
بالكلام.

- فكرتك لا تهمني فأنا أعرف نفسي جيداً.

- وأنا أيضاً أعرفك جيداً.

- أنتِ امرأة شريرة للغاية تفتعلين المشاكل  
والمصائب لتهدمي البيوت العامرة, لكن أقسم لك  
أنني سأغادر من هنا لكن إن اقتربت مجدداً لن  
أكون المرأة اللطيفة التي أمامك الآن.



- هاهاها, اذهبي إلى حيث شئتِ، لو كنتِ ببالي وأريد إيدائكِ لفعلت ذلك مسبقاً.
- وأنتِ فعلتِ ذلكِ ألا تذكرين جونيور أيتها الشريرة؟

صمتت لويزا عند وصول السؤال لعقلها, لكن ربما السبب الذي أسكتها عن الإجابة عليه هو: صفة تلقته مسبقاً من جاك الذي منعها من الدخول لمنزله لكنه عدل عن قراره آملاً أن تتغير لكنها لم تفعل, فتم طردها مرة أخرى لكن هذه المرة برفقة مايكل لم تكن لوحدها.

شد رومان وميري وأطفالهم الستة الرحال لمكان ليس بالبعيد عن والد ميري, نظراً لأن جاك تقدم بالعمر وبشكل كبير وأصبح عاجزاً عن الحركة كثيراً "إلا أنه كان يصلي كل فرضٍ في المسجد". بيتر الآن أصبح في عامه الرابع و عامه المقبل سيكون الأول له دراسياً, فتلقائياً بدأ رومان وميري بادخار النقود من أجل دراسة بيتر وتأسيسه جيداً.

- العام المقبل سيكون الأول لبيتر دراسياً يا عزيزي, هل هناك أفكار في رأسك؟

- لا توجد سوى فكرة وضعه في مدرسة "روضة" جيدة السمعة مهما كلف الأمر كي يتأسس جيداً, لا نريد وضعه في مدارس سيئة السمعة كي لا ينحاز إلى الهاوية مع من في تلك المدرسة.

- فكرة جيدة, سنبدأ بادخار الأموال إذاً من المرتب القادم وسأذهب أنا و جودي غداً إلى منزل أبي وفي طريقنا سنسأل بعض المعارف عن مدرسة جيدة السمعة وكم سيكلف أمرها.
- حسناً فكرة رائعة عزيزتي.

وبالفعل ذهبت ميري في اليوم التالي بعد عملها الشاق هي وجودي التي ساعدتها في كثيرٍ من الأوقات هي وشقيقاتها, لكن كانت الحصة الأكبر من المساعدة من نصيب جودي, لأنها كانت الكبيرة والأعقل بينهم أما البقية, نينا كانت تنشغل في تربية بيتر وتريشا مدللة أبيها كانت سيدة عصرها أغلب الأوقات لا تفعل شيئاً, تصحوا لتذهب للمدرسة محملة بمصروفٍ أكبر من أخوتها وتعود تأكل وتنام وتستيقظ لتأكل ثم تنام وهكذا دواليك.

وبعد جهد جهيد وجدت ميري المدرسة المناسبة لبيتر وبتكلفة ليست باهظة, فقامت بالاتصال فوراً على هاتف رومان لتأخذ رأيه بالأمر. وكان الأخير قد أبدى موافقته على الأمر واتفقا بعد الحديث ملياً في الأمر مساءً على العشاء والتعمق بالتفاصيل، نظراً لأن رومان كان مشغولاً ومنغرساً في عمله.

عادت ميري في وقت الغداء إلى منزلها هي وأطفالها، وأعدت الغداء واطمأنت على بيتر الذي كان في أمانة نينا أغلب الوقت. هنالك مسألة قد يستغرب منها البعض وهي:

لماذا لا تدرس جودي ونينا مثل بقية أخواتهما؟

كانتا تدرسان بالفعل لكن وقتها كان ضيقا للغاية؛ نصفه يكمن في انتظار بقية أخواتهن الصغار حين ينتهي دوامهن الدراسي، والنصف الآخر كان ينقضي مثلما مر بنا في سابقا. بيتر كان يذهب مع أمه إلى العمل غالباً، وحالما تعود جودي تأخذه لنينا ثم تعود لأمها.

وبعد تحضيرها للغداء أخذت قيلولة هي وأطفالها المنهكين، إما من المدرسة وإما من العمل معها أو من عناء التربية. والحديث هنا عن بيتر الذي كانت نينا تواجه صعوبة في تربيته والتعامل معه عندما كبر بالسن.

استيقظت ميري قبل عودة رومان بقليل فقامت بوضع العشاء الذي يكون مما طهته على الغداء وبعض المقبلات الأخرى، بالإضافة إلى ملابس نظيفة وتجهيز

حوض الاستحمام له كي ينعش جسده المنهك الذي يصعب عليه الحركة حتى.

وبعد إتمام رومان لكل ما ذكرته حرفياً, جلس ليأخذ أنفاسه ويريح عضلات جسده المنهكة والهزيلة وانغرس بالحوار مع ميري بشأن أمر مدرسة بيتر.

- من سألت عن أمر المدرسة؟

- سألت جارة منزل أبي، طفلها يكبر بيتر بسنة وقامت بتسجيله في المدرسة التي ذكرت لك اسمها ومدحتها جداً، كما مدحت المعلمات والمديرة أيضاً، وأضافت أن الرسوم ليست باهظة.

- هم, حسناً سنذهب قبل بدأ العام الدراسي القادم ونسجله لكن علينا ادخار المزيد بعد؛ لأنه كما تعلمين علينا تسجيله بحافلة تأخذه إلى المدرسة وتعيده إلى المنزل, وأيضا سيكون الطعام هنالك باهظا بعض الشيء؛ لذا سنشتري له بعض السكاكر يومياً، ونودع معه ثمن سندويشة يأكلها تفيد جسده الذي لن يتحمل أكل السكاكر فقط، فالوقت سيكون طويلاً عليه ولن يعتاد بسرعة على طوله.

- حسناً عزيزي فكرة سليمة, سنشتري حصاله إذا  
ونخفيها كي لا يعبت بها أحد، وقبل بدأ العام ننفذ  
ما قلته.

- حسناً عزيزتي, لكن أين الشاي لا أراه!  
فصرخت ميري حينها وكان الحماس والسعادة  
يملاّنها:

- جودي أين الشاي يا بُنيّتي؟  
- حاضر يا أمي، أمهليني دقيقة.  
- لا تتأخري والدك متعب وبحاجة للنوم.  
- حسناً, حسناً أنا لستُ أسرع من "الغاز".  
- لا تكوني وقحة يا فتاة.

ضحك رومان لنكتة جودي وأسكت ميري قائلاً:

- على رسلك عزيزتي، إنها تمازحك لا تكوني  
صارمة.

- هاهاها, حسناً عزيزي لك ذلك, لكن أنت تعلم أنها  
كانت وقحة قليلاً.

- دعيتها تتحرر مما بداخلها من كلام, لا بأس في  
ذلك.

- أمرك يا عزيزي.

كان رومان أطف تعاملأ مع أولاده ، أما ميرى كانت شديدة وقاسية فى أغلب الأحيان، حتى إن بعض الضربات التى ضربت بها أولادها ما زالت على أجسادهم لىومنا هذا.

وبعد احتساء الشاي احتسى الجميع الأحلام وتشرب الفراش عرقاً وجهوداً مبذولة، وصاح الجميع على بعضهم البعض لتأخر بعضهم على مهامهم اليومية فى يوم جديد تكررت التفاصيل الدقيقة به.

يا أصدقائى، دعونى أكون صريحاً فى نقطة معينة.. إننى لوهلة أحتقر قليلاً واستغرب كثيراً أولئك الذين يعيشون دون أحلام، وهبوا جسدهم للتعب فقط، أيامهم فى تكرار على الدوام، لا شىء جديد يفعلونه ولا تغيير يطرأ على حياتهم سوى التنقل من مكان إلى آخر أو تغيير نوع الطعام والملابس، إن أرادوا تحقيق إنجاز يزورون الأقارب، أو يخرجون للتنزه كعائلة أو كأفراد، على الرغم من أنهم غير مجبرين لكن حماقتهم أوصلتهم إلى هذا، وضعفهم أمام القتال من أجل أحلامهم أيضاً، لنغلق هذه الصفحة ونفتح صفحة السنة الدراسية الأولى لبيتر.

## الفصل الثالث.

أيام انقضت بسرعة, وأحلام بدت تتشكل عند بيتر,  
ذاك الصغير، ها هو يقترب من أول عتبات حلمه.

الأيام المتبقية لحرите شارفت على الانتهاء ويومه  
الأول في المدرسة يقترب. رومان بدأ من الآن ينهال  
بإسداء التعليمات والنصائح لبيتر.

- صغيري, لا أريدك مشاكسا، كن خلوقاً مع معلماتك  
ورفاقك في المدرسة, لا تتعارك مع أحد و أنصت  
لما تقوله المعلمة كي لا تضيع المعلومات التي  
تلقنها لك, اتفقنا يا صغيري؟  
- اتفقنا يا أبي, أعدك بذلك.

كان بيتر مشاكسا في صغره لكن في المنزل فقط,  
خجول الطبع حنطيّ البشرة لكن بشرته تميل  
للاسمرار. كان الجزء الأكثر بروزاً من جسده معدته،  
التي لطالما كان يخرج شقها السفلي من أسفل القطعة  
التي يرتديها, ليس لصغر حجم القطعة إنما لكبر حجم  
معدته، كان مدمناً للسكاكر، لكن لنكن منصفين في  
بعض المرات كانت ملابسه تبدو صغيرة عليه.

كان عندما يخرج مع أمه أو أبيه يلتزم الصمت التام  
وكان يلقب من صغره بالخجول, كان الأغلب -  
والمقصود هنا الصغار- يشعرون بالغيرة مما كان  
رومان وميري يقدمان له والطريقة التي كان يراعى  
بها, والحق يُقال...



وها هو الوقت قد اقترب بقي فقط يومان على بدء العام الدراسي الجديد والعام الأول لبيتر دراسياً. رومان بدوره كان مشغولاً، فوكل ميري بالخروج للسوق هي وبيتر كي يبتاعا المستلزمات الدراسية. اتصل عليها وهو في عمله وكان يبدو عليه أنه مشغول وعلى عجلة من أمره:

- عزيزتي، أنا سأتأخر اليوم في العمل لذا أخرجي أنتِ وبيتر وخذي ما تبقى من النقود في "الحصالة" لدفع التكاليف وشراء مستلزمات الدراسة، واجعليه هو يختار.

- حسناً، عزيزي أتوجد ميزانية محددة؟  
- لا عزيزتي لكن ادخري قدر ما تستطيعين.  
- حسناً.

ميري بدورها لن تنسى فتياتها، فقامت بتخصيص مبلغ صغير لهم لجلب مستلزمات إضافية على مستلزماتهم الدراسية كي لا يشعروا أنهم أقل قدراً من أخيهم، وعلى ما يبدو أن رومان نسي إخبارها بفعل ذلك كونه كان مشغولاً وأنهى المكالمة سريعاً، أو لربما كان يثق بذكائها وعدلها بين أولادها!

تمر الساعات سريعاً وأسرع مما يتوقع رومان وميري، ها قد بقي يوم واحد وأقل من ذلك على بدء

اليوم الدراسي الأول. بيتر متخوف لتغير نمط حياته ولا يفهم شيئاً حتى الآن، ولا يعي أنه سيقضي هناك وقتاً أطول مما يقضيه مع عائلته. كان رومان وميري في المكان والوقت المناسبين لتحفيز بيتر وتشجيعه كما فعلاً مع أخواته الفتيات، وكان رومان هو المبادر الأول، قال وهو يضمه إلى صدره:

- أعلم أنها ستكون مهمة صعبة للغاية عليك، لكنك ستعتاد وسأكون بجانبك لتجاوز أي أمر حسناً.

رد بيتر عليه بعيونٍ حمراءٍ مثقلة بالدموع وبصوتٍ بارزٍ فيه النحيب:

- أنا خائف جداً يا أبي، لا أعرف أحداً هناك، حتى المكان سيكون غريباً عني و عما اعتدت عليه.
- أعلم يا بُني، لكنك ستتعرف عليهم يوماً بعد يوم وستحبهم للغاية كما تحبنا الآن، ستقضي معهم وقتاً طويلاً ستستمع به، ونادراً ما ستتعارك معهم وتشعر بالحزن اتجاههم كونك لطيفاً كما أعهدك.
- حقاً يا أبي هل فعلاً لن يكونوا شريرين معي!
- أجل يا بُني ثق بي وجرب غداً.
- حسناً يا أبي لقد تحمست للغاية سأخذ للنوم كي يمضي الوقت سريعاً.
- أحلاماً سعيدة يا بُني.

رومان بارع للغاية في الحديث والإقناع حتى في إقامة الصداقات, فطبيعة عمله جعلته يحتك بالكثير من أصناف وأنواع البشر. يعرف جيداً كيف يتحدث مع أي شخص، ويعرف من أي جهة يجدر به الحديث، ناهيك عن براعته في انتقاء الكلمات.

جهزت ميري لوازم بيتر وأغراضه التي سيحتاجها في يومه الأول، ووضعتها في الحقيبة منذ المساء. كانت سعيدة للغاية بتحمس بيتر وطريقة رومان في إقناعه, فعندما تحدث رومان لبيتر كانت جالسة أمامهما وتطلق الابتسامات, التي لوهلة يظن المرء أن سببها الإثارة!

رومان بدوره كان سعيداً بإنقاذ بيتر بالحقيقة التي تنتظره غداً في يومه الأول.

وها قد حان اليوم الأول كانت ميري أول المستيقظين, وتبعها رومان بعدما أيقظته ميري ليذهب لشراء السكاكر لبيتر ويجلب "فكة" ليعطي بيتر النقود, فكتب بيتر بمذكراته عندما كبر:

" لا زلت أذكر المشقة التي كان يعاني منها أبي صباحاً وهو عائداً من البقالة ماشياً طريقاً منهكاً للجسد مهما كانت قوته, طريقاً أشبه بالصعود على جبل بعكاز. كان صوت الخوف أعلى من صوت فيروز الذي كان يدور في كل زاوية من زوايا الحافلة, خوفي على أبي طغى على خوفي من المدرسة وأول يومٍ لي فيها, فحالما مشت حافلة المدرسة انهمرت دموعي كشلال بثت به الحياة مجدداً لكنه سيجف بعد هنيهة ".

أثرت بشكل كبير هذه الكلمات بكل من قرأها وأنت أولهم عزيزي القارئ بل ثانيهم فلولا تأثيري بها لما كتبتها وما كانت شجعتني لكتابة هذه الرواية!

لوهلة ستشعر يا صديقي أن الكلمات مفعمة بالأسى, كتبها بيتر بكامل حزنه على ما حدث في قادم أيامه وما سنتعرف عليه, لذا لا تتسرع بالحكم, فقط قل إنها كلماتٌ لطيفة, لطيفة فحسب!

أتت الحافلة التي ستنتقل بيتر إلى المدرسة وكان رومان قد غادر بالفعل, ميري قد حضرت "السندويشة" لبيتر واتصلت متعجلة برومان للحضور فالحافلة قد وصلت.

- عزيزي أين أنت الحافلة وصلت.
- أنا في خط العودة عزيزتي, دعي الحافلة تسير  
وسأوافيها بالطريق.
- حسناً عزيزي.

بيتر بدء بالارتجاف خوفاً, وميري حفزته قدر  
المستطاع, لكن بيتر قد سكن به الخوف مسبقاً, فكان  
الحل هو المعلمة التي ترافق الطلبة في الحافلة,  
ونجحت المعلمة في تهدئته وصعد بيتر على متن  
الحافلة مودعاً لأمه. وافاه أبوه على الطريق كما  
وصف في حديثه الهاتفي مسبقاً, مد له السكاكر  
والنقود وقبله وذهب.

وصل بيتر إلى المدرسة وانهمر بالبكاء مجدداً عند  
وصوله لباب المدرسة تماماً, وبدأ بالصراخ "أريد  
أمي, أريد أمي" وكانت المعلمة لطيفة للغاية فضمته  
إليها وقالت له:

- أنا هنا أمك، قل لي ماذا تريد يا صغيري؟
- رد بيتر عليها وهو يوجه لها لكلمات ما كانت تؤذيها  
وما كانت تزعزعها بتاتاً:
- أنت لستِ أمي, أريد أمي.

- أعلم يا صغيري أنني لستُ كذلك, أنا فقط هنا أمك  
وسألبي ما تريد, اتفقنا... هلا هددت؟

شعر بيتر بالدفء والأمان بعد هذه الكلمات اللطيفة  
التي وجهتها المعلمة له، ناهيك عن أنها ضمته على  
صدرها ومسحت دموعه بمنتهى اللطف. غالباً يهدأ  
المرء عندما يقدم له أحد فعلاً حنوناً ويحتويه، وهذا  
ما حدث مع بيتر, فتوقف عن البكاء فوراً وبدء بمسح  
دموعه, التي لم تمسحها المعلمة جيداً.  
- حسناً.

لم يكن يومه الأول سيئاً فتعرف على صديق جديد،  
كان لطيفاً للغاية معه وأصبح يتشوق يومياً للعودة  
للمدرسة ليقضي وقته معه, فبدأ بتذكر كل ما قاله له  
أبوه.

لنعد إلى رومان قليلاً لأنه يتوجب التحدث عن نقطة  
مهمة تخصه هنا بالذات...

عانى رومان بشكلٍ كبير فقد زادت المسؤولية عليه  
للغاية كون ميري بدأت تتعب كثيراً، وبدأ رومان  
يحتقر عملها المذل, فأراحها قليلاً حتى ترعى  
الأطفال بشكلٍ أكبر وأفضل. في ليلةٍ غيرها من  
الليالي وسط جو العائلة وضجة الأطفال التي لا

يختفي صوتها ليلاً ولا نهاراً, مسكت ميري يد رومان وقالت له بمنتهى الصدق من قلبها وروحها وبكلمات كانت مملوءة بالحنان:

- عزيزي أعلم أن المسؤولية زادت وبدأ جسدك بالانهيار, أرجوك دعني أعود للعمل وأساعدك.
- عزيزتي, لا بأس في ذلك نعم أنا متعب لكن لا عليك فأنا اعتدت على ذلك لا تقلقي, الأهم هو إعطاء الحنان الكافي لهؤلاء الأطفال, وأنتِ يجب عليك أن تكوني قريبة جداً منهم, تعلمين ذلك.
- فردت ميري بنبرةٍ تدل على الرجاء:
- أعلم يا عزيزي, لكن سأخصص يوماً للعمل وهكذا يخف الثقل عليك قليلاً.

فصعقها رومان برده ذو الصوت الصاخب:

- عزيزتي قلت لا الآن, اتفقنا؟

- حسناً عزيزي كما تريد, اتفقنا.

استمر هذا الحال لسنة وأقصد هنا سنة دراسية, ثم نُقل رومان لمكان بعيدٍ بعض الشيء في العمل مجدداً, بل إن صح التعبير تم ترحيله من عمله إلى فرعٍ آخر نظراً لكبر سنه واقتراب موعد تقاعده,

فاضطر للرحيل مرة أخرى. أما بالنسبة لفكرة  
الرحيل فالفكرة نالت إقبال الجميع كون المنطقة  
الجديدة أرقى من المنطقة التي يقطنون بها الآن.  
سيتعرفون على أناس آخرين، مثلما حدث مع بيتر  
وسيحادث هذا الشيء معهم للمرة الأولى وليبتر للمرة  
الثانية في عهد نضوجه. حياة سيتغير نمطها حتى في  
اللباس, طريقة الكلام أيضاً، كل شيء سيتغير حرفياً  
كي يتأقلم الفرد مع المكان الجديد, فهذه متطلبات  
التأقلم الأولية!

ورغم رحيلهم والتجديد إلا أن رحلة البيت الجديد لم  
تدم طويلاً، اختلف رومان مع صاحب المنزل مما  
أدى إلى خروجهم السريع, لكن مهلاً لن نمر من هنا  
مرور الكرام دون ذكر تفاصيل حدثت بالفعل في  
منزلهم الراقى الجديد. قبل رحيلهم حدثت جريمة  
نفسية بحق المسكين الصغير بيتر وأمام عينه تماماً,  
وكان المجرم حينها يا سادة هو جودي الأخت  
الكبرى.

جودي لم تكن جميلة لكن أسلوب حياتها كان كذلك؛  
مما دفع الشبان قليلي الأدب والحياء خصيصاً إلى  
محاولة التقرب منها والحديث معها. وفي يوم من  
الأيام وقعت في حب أحدهم ودخلا في علاقةٍ



غرامية. ملامح الجريمة بدأت بالظهور يا سادة, لكن  
كفاكم تخيلاً للمشاهد وتسابق للأحداث, انتظروا  
سأخبركم....

قد لا تبدو هذه جريمة مخلة للآداب للبعض لكنها لعدة  
عوامل مخلة للآداب هنا تحديداً, هنا تحديداً قد حدثت  
الفاجعة, ففي يومٍ من الأيام تأخر رومان بالعمل  
وكانت ميري خارج المنزل كذلك, كانت الفتيات  
وبيتر وخدمهم في المنزل مما دفع جودي لدعوة خليلها  
إلى المنزل, وهنا حدثت الجريمة يا سادة.

كان صديق جودي "قواداً" بمعنى الكلمة, سكيراً  
ويحمل العديد من الندبات على يديه نتيجة دخوله في  
عراك مستمر مع أمثاله. هذا يعني أنه بالفعل خطير  
جداً على جودي التي يغمرها السلام مهما كانت فهي  
تتحد من عائلة طيبة أيضاً.

كانت جودي تملك هاتفاً سرياً تخبئه في حضور  
والديها وتخرجه في حال نوم الجميع أو خروج  
والديها, في اليوم الذي كانا ميري ورومان خارج  
المنزل قامت بالاتصال بذاك الأحمق.

- حبيبي, أين أنت؟

- قريب من منزلك، لماذا؟
- أبي وأمي ليسا في المنزل وسيتأخران قليلاً ما رأيك بالقدوم؟
- أليس الأمر خطيراً؟
- لا تقلق حيال ذلك تعال فحسب.
- وماذا عن أخيك؟
- أجلب معك كيساً من السكاكر وسيسكته هذا عن إخبار والداي.
- حسناً.

تعرفت جودي على هذا الشاب بفترة قصيرة قضتها في المنزل الجديد، كان ذاك التعارف في منتصف العام الدراسي، الطريقة التي تعرفت بها إليه هي كالاتي:

يتواجد الكثير من الشباب على أسوار المدارس المخصصة للفتيات في هذه البيئة القذرة، منهم من يصطاد ومنهم من يفشل فيلجأ لطلب المساعدة من صديق له عن طريق خليلته، فتعرفه على فتاة ليست مرتبطة فيرتبان لقاءً لهما ويتعارفان... ويا لها من طريقة قذرة مُنحطة بكل سبلها!

أما جودي فلم تعرف ذلك الأحمق بهذا الشكل بل بشكل مشابه، بعدما فشل ذلك النهج في جذب جودي،

تمسكت بمبادئها وأخلاقها والحق يقال, لكنها بالنهاية  
انهارت, ونسيت كل شيء, حتى أخلاقها!

لحق ذاك الأحمق تلك البلهاء في يوم من الأيام مشياً  
على الأقدام وهي عائدة إلى منزلها, فألقى بعد الكلمات  
السوقية التي تجذب الفتيات السوقيات أيضاً وتعارفاً,  
لكن ليس بنفس اللحظة بل بعد جهد جهيد وملاحقة  
مستمرة من الشاب لها, وتلكم كانت القصة, هكذا  
ببساطة بعض النساء ينسين أخلاقهن!

ليس هجوماً عليهن بل على عقولهن, فبالأكيد أنا وأنت  
عزيزي القارئ رجلاً أو امرأة نعرف جيداً طينة ذلك  
الشاب ومن هم أشباهه.

ها قد أتى الأحمق حاملاً كيساً من السكاكر أعطاه لبيتر  
الذي بدوره أخذه وجلس بالقرب منهم -كان بيتر حينها  
يبلغ ست سنوات ونصف ويقارب عامه السابع على  
البدء- جلست جودي والأخرق على السرير وبدأ بتبادل  
القبل وأمام ذاك الصغير المسكين, ثم أتت الجريمة  
الفعلية الكبرى. مارسا الجنس وهو ينظر إليهما.

فكتب صديقنا بيتر في كبره واصفاً تلك الحالة: "لو كنت أعلم أن ذاك الكيس المليء بالسكاكر سيكون بداية الهلاك لكنت حرقت جميع البقالات بداعي عدم التعمد لصغر سني!

ها هي خاطرة أخرى تغرس في القلب الحزن على صديقنا بيتر, أعان الله روحه. فلم تكن شقيقته الوحيدة التي تمت مضاجعتها, بل هو أيضاً, فقد ضاجعته الحياة القوية القاسية بكل مكانٍ في جسده الهزيل, وكان ضحيةً لمضاجعتها, فغرست بداخله ألماً كالجنين.

إذاً لنعد إلى الرحيل الثاني, يكفينا جرعاتٍ من الألم..  
فما يلامس مشاعرنا يضرنا أكثر مما يفيدنا!

فهو يذكرنا بحلاوة الشيء أو مرارته, فيحن المرء أو يحزن حينها.

كان بيتاً ليس بالبعيد عن البيت الأول, لكنه كان يعاني من مشاكل شتى وهي: الشمس لا تصله, مليء بالجرذان, سوء الخدمات فيه, قلة العائلات في البناية.

لكن الحاجة دفعتهم للمكوث فيه كونه كان البيت الوحيد المتوفر بالسعر المناسب حينها, فكان على رومان التدخل والتحدث ببراعة كعادته, فقال:

- عزيزتي, أعلم أنه ليس بيتا مناسباً, لكن علينا التحمل والصبر قليلاً حتى نجد المنزل المناسب, ثم سنعاود الرحيل لمنزل أفضل أعدك.
- حسناً عزيزي, كان الله في عوننا على هذه الرحلة الشاقة.
- آمين.

انتهى عام دراسي يا سادة, جودي لم يكتشف أمرها وبقية أخوتها ستروا عليها واسكتوا بيتر الصغير حينها بالسكاكر أيضاً, مدارس الفتيات كانت بعيدة, أما بيتر كانت مدرسته تبعد خمس دقائق على الأقدام ورغم ذلك سجله رومان بحافلة المدرسة للاطمئنان أكثر عليه, ولأسبابٍ أخرى, السبب الأول هو أنه الصبي الوحيد بين أولاده, أما الثاني فلأنه ما زال صغيراً. أما الفتيات مع أن بعضهن صغيرات إلا أن جودي ونينا يتكفلان بمهمة الحرص على سلامتهن.

حل فصل الشتاء البارد مصحوباً ببردٍ قارس, كانت المدفئة صغيرة للغاية نسبة لثمانية أشخاص يريدون الدفء منها, مما جعلهم يجلسون تحت اللحف الثقيلة ونادراً ما كان لكل منهم لحاف مخصص, كانوا

يتشاركون اللحاف سوياً، أربعة أو ثلاثة أشخاص في  
لحافٍ واحدٍ.

وبعد فترة بسيطة تغير بها حال الجميع، رومان بدأ  
يشيخ وميري بدأ وزنها يزداد، فأصبحت من وزنها  
لا تستطيع المشي كثيراً، لكن هذه السمنة لم تسبب لها  
إزعاج فقط حين تسير بل سببت لها أيضاً حصى في  
المرارة. كانت تتألم بشدة وغالباً ما تقوم برفض  
الأرضية بقدميها ويديها، كانت خبرة رومان بهذه  
الأشياء قليلة فظن أنه مجرد تلبك معوي، إلى حين  
ازداد الأمر سوءاً فأخذها إلى المستشفى.

- أيتها الطبيبة، أخبريني هل هي بخير؟  
- ليست كذلك لقد تأخرت في جلبها إلى هنا، سندخلها  
بعد قليل إلى غرفة العمليات وهي تعاني من حصى  
في المرارة، مما أدى لمغص شديد على مستوى  
الجوانب للمعدة.

والمقصود هنا "الكليتان".

- أعلم أنني أخطأت أيتها الطبيبة، لكن أرجوكِ افعلي  
ما بوسعك.

- سأفعل ما يتوجب علي فعله، والباقي نتركه لله.

- "ونعم بالله" مدك الله بالمجهود الكافي.

- أشكرك يا سيد.

نجحت أيها السيدات والسادة العملية وبأعجوبة كبيرة, "حمداً لله" استطيع سماع هذه الكلمة من شفاه كل إنسان منكم الآن, أو عبر موجات فكرية تهامست في عقولكم وصولاً لعقلي ههنا!

كان المشفى الذي تعالجت فيه ميري قريباً من منزل والدها مما دفع رومان لوضع أطفاله عند أخوات ميري -الذين لم أذكرهم البتة في هذه الرواية لقلّة عطائهم بهذه القصة- استفاقت ميري القوية سريعاً بعد العملية الأعجوبة التي حدثت, فسارعت الطبيبة بإخبار رومان ليطمئن قلب ذاك المسكين. سارع الأخير بالسير مع بسمة لم تفارقه من السعادة على سلامة ميري, لم يستطع التحمل فأطلق ساقيه للريح للاطمئنان عليها. متمددة على فراشها يصعب عليها فتح عينيها وتحريك جسدها أو حتى أطرافها, دخل رومان الغرفة وقال والخوف يغمره:

- أنت بخير عزيزتي؟

ردت ميري بصوتٍ بالكاد قد يفهمه المرء:

- نعم عزيزي بعض الشيء.

- أعتذر أنني لم آت بك مبكراً إلى هنا, سامحيني على خطئي.
- لا تقل ذلك يا عزيزي, لا بأس أعلم أنك كنت مشغولاً للغاية على نقلي للمستشفى, لننس ما حدث ونشكر الله على كل الحال.
- حمداً لله على كل حال.
- حمداً لله, بالمناسبة كيف حال الأطفال؟
- بحالة جيدة, اتصلت بشقيقتك وقالت إنهم بخير, لكن بيتر شاكس كثيراً ويطلب رؤيتك على الدوام وهو يبكي.
- أه, كم اشتقت له, متى سيأتون لزيارتي؟
- لن يأتي سوى شقيقك مايكل وشقيقتك ليساعداني على نقلك للمنزل.
- حقاً, ومتى سيحدث هذا!
- بعد غد عزيزتي.
- فردت ميري مفزوعةً, وبدت كأنها تريد النهوض من الفراش والذهاب لرؤية أولادها حالاً, إلا أن رومان سندها بيدٍ في كفها والأخرى على ظهرها:
- أنت تمازحني لن يصبروا يومين للاطمئنان علي, وسيأتون أنا متأكدة!
- هاهاها, كشفتي حيلتي إذاً, إنهم الآن على متن الحافلة قادمين لزيارتك.



- آه, حمداً لله اشتقت لهم جميعاً.

كان الجميع على عجلة وشوق لرؤية ميري سليمة على الرغم من أنها في وضع ضعيف هزيل, ولن أنسى مذكرات بيتر بالطبع في حالات كهذه, ففي كبره يا أصدقائي, كتب صديقنا: "على الرغم من صغر سني حينها, إلا أنني كنت مرهقاً من انتظار خبر من أبي يطمئن قلبي على سلامة أمي, كانت الوسيلة الوحيدة هي النظر إلى السماء عبر النافذة, التي كانت تهمس في أذني كلمتين لا زلت أذكرهما: "أمك توفيت" مما صعب علي مهمة الانتظار وجعلني أشاكس وأبكي طالباً رؤية أمي".

تستطيعون أخذ ما تريدونه من وقت للتألم على هذه الخاطرة, وتستطيعون حمد الله على عدم امتلاك مثل تلك الذاكرة, الذاكرة التي يحملها دماغ بيتر.

## الفصل الرابع.

تعافت ميري وعادت لمنزلها الأول ومنزل طفولتها وترعرعها ومسقط رأسها سالمة تشكو ألماً خفيفاً فقط، فهي ما زالت كما عهدناها قوية رغم أن العمر تقدم بها وأصبحت في أوائل الأربعينيات من عمرها. تحسنت مع الأيام وعادت لمنزلها ولحياتها الزوجية هي و أولادها وزوجها، بيتر هو الوحيد الذي كان متشبثاً بها، إلى حدٍ جعله يغرس نفسه عند أقدامها

عندما صعدوا في سيارة الأجرة كيلا تهرب منه  
مجدداً إلى المستشفى، واعتاد على ذلك حتى قبل  
ذهابها للمستشفى؛ فذلك كان يشعره بالأمان  
والاطمئنان على أمه، كان أحياناً يمسك بيديه كلتا  
قدميها، لكنها ترفضه قليلاً معبرة عن تضايقها من  
تلك الحركة التي كانت تجهل معناها، لكن هناك أمر  
بسيط، وعدها رومان وعداً في المستشفى فماذا كان يا  
ثُرى؟

- عزيزتي أعلم أن المنزل لا يعجبك، لقد وجدت  
منزلاً أفضل هيئة من هذا لكنه صغير نسبةً لعددنا  
ما رأيك؟
- موافقة.
- حسناً، أعدك بعد تحسناك سنرحل إليه، وسأتحدث  
مع مالك المنزل كي نتفق على اليوم المناسب.
- هل هو أكثر تكلفة من الذي نسكنه؟
- لا أقل منه بقليل.

- حسناً وفقنا الله إذاً.

- آمين.

وهذا كان الوعد يا أصدقائي ووفى به بعد عودتهم  
للمنزل جميعاً.

استغرق الرحيل مدة تقارب اليومين؛ نظراً لأن  
رومان وحده وساعده عددٌ قليل، أتموا الرحيل لكن...  
بصعوبة.

شعر الجميع بارتياح في المنزل الجديد رغم صغر  
حجمه، وعلى الرغم من أن جميع الأطفال يحملون  
ذكريات جميلة في المنزل القديم ومنها:

"رؤية الثلج لأول مرة على أرض الواقع".

كانوا متحمسين للتعرف بسكان هذا الشارع وتلك  
البيوت الجديدة، بمن فيهم بيتر الذي يحب كرة القدم  
كثيراً، ويتلقى التوبيخ لو لعبها في المنزل، فقد شاهد  
بعض الفتية يمارسون هذه اللعبة عندما كانت عائلته  
بأسرها منشغلة بترتيب أمتعة المنزل، لم يتمكن من  
الخروج حينها فهم ما زالوا غرباء والوقت كان  
متأخر قليلاً. ولأن بيتر كانت ذاكرته تؤلمه جداً عندما  
يتذكر أغلب ما عاشه فلم ينسَ هذه اللحظة بالتأكيد،  
فكتب لنا الآتي:

" كنت من شدة حُبِّي لكرة القدم أصنع ملعباً صغيراً في غرفة استقبال الضيوف حيث كنت أشتري الكرات الصغيرة كي تناسب حجم المرمى الصغير، حتى أنني كسرت بعض أثاث المنزل، حينها سمحت لي أمي بالخروج لكن بكُرةٍ خاصةٍ بي. كانت هناك شركة تصنع ميداليات الشاي وتصنع صنفاً من منتجاتها وترفق معه الكرة بسعرٍ أعلى من المنتج بدون الكرة. وكانت أمي رغم سعره تبتاعه لي كل مرة كي لا أشعر بالنقص أمام الفتية وأنتظر قدوم أحدهم كي ألعب الكرة".

الآن وبعد جرعة الألم البسيطة تلك التي ستعرفون لما هي مؤلمة قريباً، اسمحوا لي بتعريفكم على شخصية جديدة دخلت هذه القصة، إنها السيدة كلارا وهي قريبة لرومان وهو يعتبر ابن خالها، اعتاد أولاد رومان مناداتها بعمتي نظراً لفارق السن الشاسع بينهم، كانت السيدة كلارا تملك مدرسةً وتديرها. طرحت على رومان فكرة توظيفه هو وميري معها في المدرسة، هو كسائق وميري كعاملة نظافة.

كان رومان متردداً حيال عمل ميري، لكنه كي يكون منصفاً ومهذباً كالعادة سألها قبل إعطاء الجواب للسيدة كلارا، وكان جواب ميري هو الموافقة على

ذلك, مع أن العمل مشين ومذل لكن هناك قاعدة خرجت في أوطاننا وهي: "العمل ليس عيباً مهما كان".

صدقوني هذه الجملة جعلت الراقصة تعمل متفاخرة بعملها والخادم كذلك، مع أنهم لم يحلموا بهذا ولم يكن طموحهم, منهم من يدفعه حب النقود وحياة الرفاهية، ومنهم من تدفعه الكرامة والسمعة الطيبة التي يبحثون عنها ويتمسكون بها خشية الضياع، ما جعلهم بلا قيمة بين الناس, والأضعف بين الجميع, الضعفاء الذين لا يستطيعون الحصول على العمل الجدير بالاحترام بنظر جميع الطبقات, لا يكفي ذلك فحسب بل إنهم يعيشون حياة مذلة, لكنهم لا يعلمون أن عيش حياة بنمط غير مرغوب فيه هو الذل بحد ذاته, لا يعلمون أنهم يقبلون بثوبٍ ليس لهم، لا يحصلون على ما يستحقون. ومن هذا المنبر أحبيهم تحية من أعماق قلبي رغم اختلافي مع نهجهم وتعاطفي البسيط مع رضوخهم.

وبعد موافقتها وضعت ميري شرطاً على السيدة كلارا وهو: دراسة بيتر معها بنفس المدرسة حتى لو كان ذلك على حسابها أو بالمجان.

معلومة بسيطة: المدرسة التي تمتلكها السيدة كلارا هي نفسها المدرسة التي درس فيها بيتر صفه الأول, لكن السيدة كلارا ما كانت تملكها آنذاك, فقد ابتاعتها للتو ترابطاً مع الأحداث التي سردتها, ابتاعتها تقريباً بعدما خرجت ميري من المستشفى بأسبوعين أي عندما سكن رومان وعائلته في المنزل جديد, وجدتها صدفة رائعة صدفة المدرسة بالتحديد, فقط لا غير...

كانت السيدة كلارا لطيفة للغاية فوافقت على تدريس بيتر على حسابها هي لا على حساب أمه. وكما عودنا بيتر لن ينسى هذه اللحظة في كبره فكتب الآتي: "لن أنسى أبداً مجهود العمة كلارا, فبفضل الله الذي سخرها لنا كي تساعدنا, ثم بفضلها ها أنا الآن وبعد مرور السنوات الكثيرة لم أنسَ بتاتاً أنني شربت من نهر العلم الذي كانت تسكبه على كل من حولها فشكراً لها مجدداً".

كان العرض حينها في فترة العطلة الصيفية، فبدأ العمل منذ ذلك الوقت، لكن ليس بالمدرسة بل في منزل السيدة كلارا. كانت ميري تذهب وتساعدنا

مقابل نفس المرتب الذي ستقدمه لها وستتقاضاه في العمل بالمدرسة, حينها كانت ميري تعمل بنفسها وما كانت تطلب المساعدة من أولادها إلا قليلاً.

وحتى عن هذه اللحظة كتب صديقنا بيتر هذه الكلمات: "لم أنسَ أيضاً وجبات الغداء و العشاء والملابس التي كانت تقدمها العمه كلارا لي ولأخواتي".

هذا كان يدل على وضع المعيشة الصعب الذي كان يعيشه رومان وعائلته, فرومان كان ما زال مستمراً بعمله كسائقٍ لسيارة الإسعاف, وكان أحياناً يعمل عملاً إضافياً؛ حارساً لبناية ما أو في أي عمل ملائم متوفر.

ها قد انتهت العطلة وأنت ساعة العمل لميري التي لازممت رومان منذ سنين, كتفاً بكتف وجنباً بجنب, هي في الحقيقة ساعة العمل التي دقت لببتر وأخواته. إيميلي لم تفلح في دراستها فقررت تركها, قرار جعل رومان وميري في حيرة، فقررا جعلها تذهب مع ميري إلى العمل تارةً تساعدها وتارةً تريحها, وبهذا القرار يشعران بالأمان حيالها.



- على الرغم أن قرارك سيهدمك يا بُنيّتي لكن قراري سيكون أقلّ ضرراً لكنه سيبين لك كم كنت مخطئة حين قررت ترك مدرستك ومستقبلك.
- وما هو قرارك يا أمي؟
- ستذهبين للعمل معي, لكن ليس بمقابل مادي يماثل المبلغ الذي أتقاضاه, سوف أعطيك ما تيسر من مبلغٍ نقدي في كل شهر, سيكون المبلغ متفاوت القدر وقد يمر شهر دون أن تأخذي شيئاً, وفي الشهر التالي تأخذين الضعف, اتفقنا؟
- اتفقنا.

كانت ميري تريد ضبط ابنتها بأية وسيلة, حيث أن الرجال قليلاً ما يعرفون ضبط الفتيات بالشكل السليم؛ فيلجؤون لوسيلة العنف والذي عادة ما يكون مبرحاً, ولأكون صريحاً هذا الأمر ينتشر كثيراً في الثقافة العربية منذ القدم وحتى الآن؛ فإذ اقترفت إحدى الفتيات خطيئة في بعض الحالات تُقتل, أجل تُقتل!

وبعد قبول إيميلي أصبح بيتر وإيميلي في مكان مماثل, بيتر كان عمله الدراسة وميري التنظيف وإيميلي تساعد أمها وتجلب الفطائر للطلبة.

بالنسبة للفطائر كانت تطلبها من أحد المخابز, فتمر ميري على الصفوف حاملة الورقة والقلم وتسجل

أسماء الطلبة الذين يريدون الفطائر وتدون نوعها  
كذلك وتأخذ النقود تعطيها لإيميلي التي بدورها تذهب  
وتحضرها.

كان للسيدة كلارا ابنٌ في نفس المدرسة يدعى  
"جيمس" كان مشاكسا للغاية ومدللا كذلك، لكنه كان  
على علاقة قريبة من بيتر، كلاهما يشعر بالغيرة من  
الأخر، كانت السيدة كلارا تمتلك المال لتجلب لجيمس  
ما يحلو له، أما ميري فكانت تعاني أحيانا من هذه  
المشكلة، فقلما يمضي يوم ولا يتعارك به بيتر  
وجيمس على الأحذية الرياضية والتفاخر بها، فكانت  
ميري بدورها تذهب لأسواق الألبسة والأحذية  
المستعملة "البالة" حيث توجد فيها هذه الأحذية بسعر  
أقل تكلفة بكثير وبنسبة 90% من السعر الذي  
تشتري به السيدة كلارا الحذاء لجيمس؛ مما أثار  
دهشة السيدة كلارا وحيرتها فسألت ميري متفاجئة:

- أنت فقيرة ودخلك محدود، كيف تستطيعين جلب

هذه الأحذية باهظة الثمن لابنك بيتر؟

فردت ميري وكأنه شيء تفتخر به، وهو أمر

يستحق أن يُفتخر به، فهو ذكاء، أجل ما تفعله

ميري ذكاء، ليس التفاخر إنما الطريقة:

- هاهاها, إنه ذكاء بعض الشيء وتوفير أيضاً, أجبته  
من سوق البالة، هناك توجد الأحذية بسعر جيد  
ومقبول.

- ولمَ لم تخبريني؟

- ظننتك ذكية أيضاً وتعرفين المكان.

فردت كلارا مُخرجة:

- هاهاها, في المرة القادمة سنذهب سوياً, اتفقنا؟

- اتفقنا.

لنعد لصديقنا بيتر قليلاً ولما كتب, بخصوص هذه  
الحالة..

"لا زلت أتذكر تضحيات أمي, أولها العمل الشاق  
والمذل وثانيها كفاحها من أجل أن تشعرني بأني  
لست أقل قدراً من جيمس".

كانت علاقة ميري والسيدة كلارا جيدة للغاية, كانت  
أسرارهم توضع على الطاولة فلا تغادرها, حتى  
حبل الأمانة بينهم كان متيناً؛ فكانت توضع مبالغ  
هائلة بجعبة ميري للسيدة كلارا, فما كانت تثق إلا بها  
من بين طاقم العمل كله. حتى في المنزل، كانت  
ميري ترى النقود متناثرة على الطاولات هنا وهناك

في أثناء تنظيفها وما كانت يدها تمد إليها إلا لجمعها  
و إخبار كلارا بأمرها.

"حتى بيتر في كبره تمنى عودة العلاقة كما كانت  
بعدها انقطعت".

والدليل على أسرارهم المتينة أن سبب الخلاف بينهما  
لم يعرفه أحد سواهما، حتى بيتر الذي لا يمل من  
البحث عن الحقائق. علاقة بيتر بجيمس انقطعت  
تقريباً لكن ليس لخلاف، فكان سبب معظم لقاءاتهما  
الكثيرة هو ميري والسيدة كلارا والسبب انقطع  
فأصبحا يتقابلان في مناسبات قليلة.

نحن الآن في العام ألفين وتسعة ميلادي تحديداً، كانت  
هناك مناسبة زواج لعائلة رومان وميري، رومان  
الذي بدوره كان متخاذلاً بالعمل مع السيدة كلارا مما  
زاد الخلافات حدةً بين السيدة كلارا وميري لأجل  
تخاذه زوج الأخيرة. كانت الأمور في حالة خلاف  
تصعيدي، لكن لم يكن هو السبب الرئيس للخلاف  
الكبير هناك سبب مجهول يا أصدقائي.

تلك المناسبة كانت خطبة جودي من قريب أمها توم،  
سارت الأمور بشكل رائع، حتى العم لويس الذي  
اختفى لفترة طويلة عاد، وهو كان سبب رئيس لهذا

الحفل, أشعر الآن كما يشعر معظمكم بأن هذا الرجل  
عراب وذو خبرة بالبحث عن زوجات.

وبعد مكالمة هاتفية كانت من العم لويس لميري كان  
العم لويس يتحاذق فيها، يريد من ميري أن تعرفه من  
صوته, لكن ميري فشلت في ذلك, وبعد أن أثار  
حفيظتها أفصح عن نفسه وعاتبته على غيابه وطلبت  
منه القدوم. كان طلباً من الصعب له أن يرفضه, فكان  
سبب اتصال العم لويس وغايته من الاتصال القدوم  
لغرضٍ ما, فسنحت له الفرصة المناسبة للقدوم  
الحتمي.

- مرحباً.
- أهلاً, من المتكلم؟
- أنا شخص يعرفك وبحاجةٍ ماسة لأن تعرفيه.
- المعذرة, من أنت؟
- ألم تعرفيني؟
- لا يا سيد قل لي من أنت و إلا أقفلت الخط!
- هاهاها, لا تقفليه.
- حسناً, من أنت إذا؟
- أنا خالك لويس.
- حقاً, أين كنت طوال هذه الفترة!

- سأخبرك حين قدومي.
- قدومك إلى أين؟
- إلى منزلك, هل رومان موجود؟
- موجود أجل, سأطلعك على العنوان لتأتي.
- حسناً.

خبر كان جرعة الفرح الأولى لميري و سيتبع هذه الجرعة جرعة أكبر قدراً من الفرح, إنني مُتأكد من ذلك! بعدما أنهت ميري المكالمة هرعت مسرعة ولا أعلم كيف فعلت ذلك مع وزنها الزائد لكنها فعلت ذلك وحسب, لربما استعادت شبابها!

- عزيزي هناك مفاجأة لك.
- ما هي؟
- هناك شخص تحبه قادم.
- ومن هو ذاك الشخص؟
- خالي لويس.
- أتماز حيني؟
- لا, أقسم لك أنه قادم وهو في الطريق الآن.

- يا للهول, وضبي غرفة الجلوس وأخبري الفتيات حتى يحضرن العشاء.

- حسناً.

وصل العم لويس أخيراً بعدما تاه كثيراً في الطريق, وصل تحت ترحيب حار من قبل رومان الذي اشتاق له كثيراً جراء فترة ليست قصيرة تغيب فيها عن السؤال والحضور.

لم ينسَ بيتر هذه اللحظة أيضاً فكتب: "لم أكن أعرف العم لويس حينها، وكانت المرة الأولى التي أراه فيها وأنا واع بما يكفي لتذكر الوجوه, إلا أنه كان لطيفاً وودوداً للغاية، وحسب ما رآته عيني كان عزيزاً على قلب أبي, والذي ما زلت استغربه أنه عندما أتى لزيارتنا عندما كبرت لم يجلس أبي معه, فاقتنعت حينها أنه لا شيء يدوم, حتى الحب !

- أهلاً وسهلاً لويس, افتقدتك كثيراً يا رجل!

- أهلاً بك رومان افتقدتك أنا أيضاً, تسرني رؤيتك.

- وأنا كذلك يا صديقي.

- تفضل بالدخول.

- أشكرك.

وبعد جلوسهم المسبوق بالعناق الشديد, أخذ العم  
لويس يتنفس الصعداء نظراً لأنه كان متعباً من  
الطريق, حينها أمر رومان ابنته جودي بجلب كأس  
من الماء لخالها لويس. ميري بدورها صافحت خالها  
وجلست بجانبه وهي مفعمة بالشوق ولم تكن لتتحرك  
لجلب الماء حينها, فبادرت بالحديث مع لويس بطريقة  
أشبه بالطفولية وقالت:

- ما سبب الغياب هيا قل لي.
- مشاغل الحياة يا عزيزتي, لا تقلقي الأهم أنني هنا  
الآن.
- نعم صحيح, كيف حال أولادك وسوزي؟
- إنهم بخير, حمداً لله.
- لماذا لم تجلبهم معك؟
- لم أستطع, أتممت عملي وأتيت حالاً إلى هنا. كما  
تعلمين عندما قررت أن أسكن في المدينة تبذلت  
الأحوال وأصبحت أعمل كسائق تكسي, لم تكن  
هناك فرصة مناسبة لجلبهم.
- همم, حسناً لكن عليك أن تعطيني وعداً بأنك  
ستجلبهم يوماً ما.
- أعدك, وكيف حالك أنت يا رومان؟
- أنا بخير, أحمد الله.



- كيف حال العمل أيضاً.
- جيد جداً.
- حمداً لله.
- أنا أتيت هنا لأمر معين لذا سأخبركم به وأنصرف لأترككم تفكرون به سوياً وترسلوا لي الإجابة، حسناً؟

تشوقا ميري ورومان وقالوا سوياً بسرعة البرق:

- حسناً ما هو الأمر.
- هناك شخص يبحث عن فتاة ليتزوج وهو قريب لي.

ردت ميري متعجبة:

- قريب لك؟ من هو؟
- إنه توم تعرفينه صحيح؟
- نعم أعرفه، ولكن ما علاقتنا بأمر الفتاة؟
- كنت أفكر بتحديد موعد في حال موافقتكم عليه لجودي.

- همم، علينا سؤالها أولاً، أليس كذلك عزيزي رومان؟

أومئ رومان موافقاً، ثم أكمل لويس حديثه وبدأت عليه الجدية طاغية:

- ولهذا قلت لكم فكروا سوياً أنتما وجودي وبتمهل.
- حسناً, سنرد عليك قريباً.
- اتفقنا, الآن اسمحوا لي بالانصراف.

ثم نهض لويس ليخرج فتبعه رومان راجياً, قائلاً له:

- مهلاً عزيزي اجلس, إننا نحضر العشاء لناكل سوياً.

- أشكرك يا صديقي لكنني تأخرت كثيراً ولا أستطيع التأخر أكثر فعلي يبدأ في وقت مبكر, اعذراني.
- حسناً, عذرتك هذه المرة يا لويس, كن بخير.
- أشكرك, عمتما مساءً.

رد رومان وميري وهما يتبعانه لشرفة المنزل:

- وأنت, أيضاً.

رومان وميري كانا يواجهان صعوبة في الأمر؛ كونها المرة الأولى التي سيحدث فيها هذا الشيء لإحدى بناتهم، لكنهما كانا يعلمان أن هذا اليوم سيأتي حتمًا، كما أنهما يتمنيان أن يأتي وهما على قيد الحياة. قررا التحدث بعد العشاء مع جودي وعلى انفراد. بعدما جهزت العشاء تفاجأت جودي بعدم وجود العم لويس.

- أبي أمي, هل رحل العم لويس؟

ردت ميري نظراً لما ينتاب رومان من التوتر  
لصعوبة الموقف عليه:

- أجل يا بُنيّتي.

- لكن العشاء!

- لا بأس نريد التحدث أنا وأبيك معك في أمر مهم.

- الآن يا أمي؟

- لا يا عزيزتي, بعد العشاء و على انفراد.

- هل الأمر خطير إلى هذا الحد, هل فعلت شيئاً

أزعجكماً؟

- هاهاها, لا يا بُنيّتي, ستعرفين بعد العشاء.

- حسناً.

كان خوف جودي الأول هو أمر خليلها, الذي عانت

من حالة اكتئاب بعدما افترقا, فخافت أن يكون بيتر

أخوها الصغير أخبر والديه بالأمر. وبعد انتهاء

العشاء الذي أنهته جودي بصعوبة وخوف حتى أنها

لم تأكل جيداً, جلست مع أمها وأبيها وهي ترتعش

خوفاً من مصيبة من الممكن أن تحل على رأسها,

كان يجب على رومان التدخل في هذه الحالات

بالطبع فكان السباق كالعادة رغم توتره الواضح,

فقال:

- بُنيّتي نريد أنا وأمك كما قالت لك... نريد التحدث  
معك في أمر مهم.

- أجل أعلم يا أبي, ما الأمر؟

كانت حالة جودي تصعب على رومان كما أنه لو هلة  
شعر أنه فقد مهارات الحديث التي يمتلكها, لذلك  
أطلق خلاصة الموضوع في ثانيتين وقال:

- هناك شخص يريد التقدم لك.

صدمت جودي, وتذكرت للتو ذاك الأحمق الذي  
وعدها بالزواج وأخلف وعده, فردت مفزوعة:

- حقاً, وماذا قلتما أنت وأمي؟

- لم نبدِ الرأي ولم نعطِ جواباً بعد, ننتظر رأيك.

- وما رأيكما أنتما؟

- ما رأيك أنت؟

- لا أعلم حقاً, هل لي بفترة تفكير؟

- أجل يا بُنيّتي, هذا من حقك, ومن حقنا على العم

لويس عدم التأخر في الرد, اتفقنا؟

- اتفقنا يا أبي.

بعدما زال هم أمر خليلها والمصيبة التي فعلتها  
عاودتها الأفكار, كيف ستستطيع الموافقة وهي تحب  
شخصاً آخر لا بل لا تقوى على نسيانه حتى؟

فكل مرة يمر في خيالها تتذكر جملة واحدة لا ثاني  
لها: "سأ تزوجك عما قريب حبيبتي, عليك أن تصبري  
فقط".

حينها أيقنت أن نسيان الحب القديم يكمن في حب  
جديد, فوافقت جودي بعد تفكير عميق وأفكارٍ دارت  
في عقلها. قالت لنفسها وهي مقتنعة: "هو لم يحبني  
بالأصل لو كان كذلك لما تركني وحيدة, كان يجب  
عليه التقدم لي لإثبات ذلك".

كلامها كلام طفلة, لا, خائني التعبير بل كلام ملاك  
أجل, كلام ملاك, يخرج من فمها ويلامس القلب فوراً  
ببراءة رغم الشر الذي بداخلها!

ميري بدورها أخبرت رومان بأن جودي وافقت,  
ورمان بدوره أخبر لويس لتحديد موعد مع عائلة توم  
للقدوم والتعارف ورؤية الفتاة، ولمناقشة بعض  
الأمور واحتساء القهوة وبعدها سيقرون ماذا  
سيفعلون.

تم ترتيب الأمور بأفضل شكل حتى أتى موعد قدوم  
توم وعائلته مع العم لويس أيضاً الذي كان وسيطاً  
بينهم. وصل الجميع ورحب بهم رومان وميري  
وأدخلوهم المنزل وبدأ الحديث. اتفقوا على كل شيء  
لا سيما يوم الخطبة, وتمت الخطبة على أفضل شكل  
وتمت دعوة جميع نساء الحي الذي يسكنون فيه.

لنعد لبيتر قليلاً, الذي تعرض حينها لعنصرية فريدة  
من نوعها في بلد قلت فيه العنصرية بهذا الشكل, في  
بلدٍ قلما يواجه عنصرية بسبب لون البشرة, لكن  
تتواجد بسبب اختلاف الأعراق ولربما الأديان ولربما  
الأوطان!

بيتر عانى من عنصرية نادرة, حيث كان فتیان  
الشارع يلقبونه ببيتر الأسمر استهزاءً بلون بشرته.  
حتى عندما حان موعد الحفل كان وصف المكان لمن  
لا يعرفه "بمنزل أم بيتر الأسمر". بيتر لم يعاني فقط  
من العنصرية بل عانى أيضاً من العنف, فكان يتلقى  
الضرب من جميع فتیان الشارع حتى انفجر في يوم  
ما وضرب أحدهم, وبالطبع صديقنا بيتر لم ينسَ هذه  
اللحظة وكتب: "كان الأمر صعباً للغاية بالنسبة لي,  
كنت لا أقوى على التفوه بأية كلمة استهزاء لأحدهم  
ولا حتى رد اللكمات لهم, حينها انفجرت داخلياً

وضربت أحدهم أمام الجميع, كان الجميع يصفق لي،  
لكن قلبي الغارق بالإنسانية شعر كم هو مقرف إيذاء  
الآخرين, ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن لم أضرب  
أحدهم إلا وارتعش جسدي وانهمرت أجفاني بالبكاء".

لم يكن حينها بيتر أسمر البشرة فحسب بل كان قصير  
القامة جداً, وذو بطنٍ كبير, وعقلٍ كبير صدقوا أو لا  
تصدقوا, كان يملك ذكاءً خارقاً وتفوق به على من  
حوله, حتى في الألعاب التي يلعبونها في الشارع  
ككرة القدم والغميضة كان هو أفضلهم في تلك  
الألعاب, حسناً... لنعد إلى جودي وخطبتها. بعد أن  
تمت الخطبة بدأ جودي وتوم بالخروج بشكل رسمي  
كونهما يريدان التعرف على بعضهما بشكل أكبر, في  
الموعد الأول ابتاع لها هاتفاً فريداً من نوعه, وفي  
الموعد الثاني كانت نهاية تلك العلاقة.

حينها اقتنعت أن جمال الأشخاص ولهفتهم وحتى  
التفنن بالحديث الخارج من أفواههم يكون في البدايات  
فقط, فكيف لرجل أن يترك مخطوبته دون طعام من  
الصباح الباكر إلى منتصف الليل!

انفصل جودي وتوم بعد هذه الحادثة التي صدمت الجميع, لقد أسدى معروفًا لجودي عندما فعل بها هذا،  
يا لها من مسكينة!

رومان وميري رفضا النقاش أو حتى اللجوء للحوار والتفاهم مع العم لويس وعائلة توم للوصول لحل. كان المصلح حينها المحكمة حيث حُكم على جودي بإرجاع النقود التي انفقها توم في حفل الخطبة, فسددت جودي المبلغ بمساعدة عائلتها كاملاً لكن ليس بنفس اللحظة، لقد استغرق الأمر سنتين.

نساء الشارع بدورهن -بعدما سلم بيتر منهن قليلاً- بدأن بالتعرض لجودي, فكان الحل هو الرحيل بعيداً مجدداً, بعدما كثر الحديث عن انفصال جودي وتوم, فنعتوها بالسمنية وقالوا أن سبب الانفصال هو وزنها الزائد، لكنهن لم يدركن أن سبب ثرثرتهن الزائدة هي عقولهن الفارغة التي تفوق حد الفراغ الذي كان في معدة جودي منذ أيام لحظة انفصالها.....!

ملاحظة: جودي كانت سمينة بالفعل حينها.

رومان وميري اتفقا على الرحيل لعدة أسباب: أولها المضايقات المستمرة لهم، وثانياً صغر حجم العقول المحيطة بهم، حتى صغر حجم المنزل الذي يأويهم.



وبالفعل رحل وعائلته بعيداً عن كل هذه المضايقات,  
رحلوا قريباً من عمل ميري التي كانت حينها ما  
زالت تعمل مع العمه كلارا. كان يفصل بيتهم عن  
المدرسة سُلّم ينقل الشخص من المنزل إلى الشارع  
القريب من المدرسة والعكس صحيح, لكن قبل  
الرحيل كان هناك أمل بأن تتغير معاملة جميع  
الجيران. أحس رومان وميري بسوء نفسية جودي  
وقررا السفر لإحدى الدول المجاورة؛ عند أحد  
الأقرباء القدامى الذين تربي عندهم رومان في  
صغره.

أعلم بماذا تفكرون, كتب بيتر في كبره الآتي: "لم أكن  
أعلم حينها أن الزمن سيدور وسيصنع أختي ويرد لها  
ضرراً نفسياً زرعته بي في صغري وكبري, الكسر  
التي تلقته روح أختي كان تكفيراً عن الكسر الذي  
كسرتني إياه في صغري".

حقيقةً لا أرى مسكيناً في هذه العائلة حتى الآن إلا  
بيتر الصغير الذي نشأ وتربى في هذه الأجواء التي لا  
ينصح بنشوء الأطفال فيها بهذه الطريقة. فقبل ولادته  
كان الوضع مختلفاً, أجل مختلفاً؛ فلم تترعرع شقيقاته  
في مثل هذه الأحداث, كانت حياتهم أكثر هدوءاً بل

حتى أقل فقراً, نتعاطف مع التضحيات بكل تأكيد لكن  
لا بد من وجود مظلوم!

ما زلنا في العام ألفين وتسعة -وبعد سفر استمر  
ثلاثة أشهر- كان الجميع خلاله سعداء وأكثرهم بيتر  
إلا في ليلة واحدة, ليلة تعرض فيها لصفعة من أحد  
أقارب أبيه, بكى بكاءً شديداً, وحاول الهروب حينها  
آملاً أن نهاية الشارع الذي سيركض فيه ستقوده إلى  
بيته الذي دائماً ما كان يحميه من العنف الآخرين له.

## الفصل الخامس.

بعد الاستقرار والابتعاد عن ضوضاء الناس وكلامهم، ارتاح رومان وعائلته قليلاً، وعندما عادوا فقدوا الأمل بأن يتغير من حولهم. وبالفعل اتخذوا قراراً حاسماً وحازماً بشأن الرحيل. كان المنزل الجديد جميلاً وكبيراً يتسع لهم جميعاً، كان رومان وميري يظنان بل ومتأكدان أن المنزل القديم كان نحسا عليهم أوقعهم في الحظ العاثر ومع أناس بلهاء. كان قرار الرحيل صائبا بالفعل فقد تحسنت أوضاعهم كثيرا لكن في بدايتها فقط، تماماً مثل جمال توم في بدايته!

أول خبرٍ مفرح كان لرومان وعائلته هو إتمام خطبة نينا على شخصيتنا الجديدة "فرانك"، الشخص الذي رفضه رومان كثيراً حتى تدخل الكثير لإقناعه بالقبول بمن فيهم روح نينا التي كانت تحتضر حينها من شدة حُزنها.

ومثلما لكل فعل ردة فعل؛ لكل فرحة هناك تعاسة مرادفة لها بالقوة والصدمة العقلية والقلبية. إيميلي المشاكسة بدورها كانت تُحب شخصاً، تعرفت عليه

من موقع الفيس بوك وأحبته وأحبها رغم أنه كان سيئاً، تلاعب بعقلها وبدأ بزرع أفكار مشينة في رأسها الفارغ الذي كان جوفاً للكلمات استمع واتسع لكل ما قاله.

إيميلي كانت حينها الفتاة الأكثر انحرافاً بين أخواتها. كانت تعرف الكثير من الشبان وتغضب أمها كثيراً وكذلك أبيها، ميري ورومان المسكينان اللذان هرما بسبب أبنائهما. زرع ذاك الشاب فكرة الزواج في رأس إيميلي وأقنعها بالهروب معه مثلما يحدث في الأفلام لكي تصبح قصتهم محفورة في التاريخ.

هربت إيميلي للمرة الأولى وبحث عنها الجميع وتم إبلاغ الشرطة، تغيبت لفترة تقارب الشهر ثم عادت، لم تجدها الشرطة ولا حتى هي لم تجد نفسها أمام عائلتها التي بذلت جهد جهيدا في البحث عنها. في الليلة التي هربت فيها كان هناك من يتبعها خمنا من يكون!

إنه بيتر يا سادة، الذي كان يبلغ من العمر حينها أحد عشر عاماً تقريبا، جرى وراءها حافي القدمين أملاً بأن يمسك بها، إيميلي التي غافلت الجميع لم تغافل بيتر الصغير!

ألم أقل لكم إنه يفوق من حوله ذكاءً؟

كتب بيتر الآتي: "الألم فعلياً لم أشعر به بتاتاً إلا عندما سقطت على وجهي وأنا أحاول الإمساك بها, لم أتألم من شدة السقوط, بل تألمت لأنني لم أمسك بها, فلو كنت قادراً على الإمساك بها لكان قد تغير الكثير حينها".

وبعدما علم ريكي بأمر ابنة أخيه حضر حالاً لمساندة رومان أو بالأحرى لتشجيعه على ضربها كي لا تعيد الكرة, اتصل ريكي برومان وبدأ المكالمة بنبرة حانقة وغازبية:

- مرحباً أخي رومان, كيف حالك؟

فرد رومان الهزيل, وبالكاد كان يفهم كلامه من شدة ألمه حينها:

- لست بحالة جيدة يا ريكي, ماذا هناك؟

- لا شيء أردت الاطمئنان عليك وحسب, ما الذي حدث معك؟

- إنها إيميلي.

- ما بها؟

- هربت من المنزل.

- أتمازحني!

- وهل تعتقد أنني في مزاج لائق للمزاح؟
- ولم فعلت ذلك.
- تستطيع أن تسألها أنت لماذا.
- حسناً... حسناً أنا قادم في الغد.
- حسناً.

وأقفل الخط متعجباً كما لو أنه سيحضر حالاً!

كان ثائراً للغاية حتى في خطواته, وفي نبذة كلامه ومضمونه، الأمر الذي كان جارحاً لرومان وميري. أتى فقط من أجل فضوله لمعرفة ما الأمر وليعترف على مسامح ميري ورومان الحكم التي سرقها عن الانترنت عندما كان يلتهى بذاك الموقع عن تربية أطفاله!

- إن الحق عليكما, هناك سبب دفعها لذلك.
- يا رجل كفاك نحن في ماذا وأنت في ماذا، لم نفعل لها شيئاً بتاتاً حتى أمها امتنعت عن إجهادها في العمل معها في الفترة الأخيرة بالمدرسة.
- إنه أمر غريب إذاً.
- إنه وصمة عار أيضاً.
- والحل لعدم تكرار ذلك العار هو ضربها كي تتعلم وتمتنع عن الخروج.

فردت ميري متدخلة ومدافعة:  
- إنه ليس الحل المناسب ستقوم بتكرار ما فعلته في  
حال ضربها صدقوني.

رد ريكي عليها وكان حينها يدعي أنه شارلوك  
هولمز, لا بل كان حازماً و واثقاً بما يقوله:

- عرفت الآن من يجعل قلبها بارداً لفعل ذلك.

ردت ميري بعدما دخلت في حالة غليان بسبب ما  
قاله ريكي:

- ماذا تقصد يا ريكي؟

- لا شيء يا ميري فهمتني أنت جيداً.

هرع رومان لفض الشجار اللفظي وقال متوجهاً  
بالكلام لميري:

- كلامه صحيح يا ميري ربما يكون الحل الأنسب  
والأفضل هو إخافتها.

- صدقتي إنه ليس مناسباً.

- سنرى عندما تعود هذه المشاكسة.

وبعدما عادت من شهر الانحراف قام رومان بضربها  
ضرباً مُبرحاً آملاً أن لا تعيد الكرة، ولكنها كررتها  
مجدداً. ألقى اللوم على رومان حتى ميري قاطعته  
على فعلته وإنصاته لكلام أخيه الفارغ الذي جعل  
إيميلي تفعل فعلتها مجدداً، علينا بأن نفهم يا أصدقائي  
ونتفق على شيء ألا وهو:

عند وقوعك في المشاكل سيكون الحل معقداً غالباً،  
وسيكون من شخص خارج الدائرة، أو الصندوق، لكن  
الدائرة هي الشكل الأنسب لأنها تبقي المرء يدور  
حول نفسه باحثاً عن حل!

دييغو الشخصية الجديدة في قصتنا كان صديقا  
لرومان منذ عقود، تعرفا على بعضهم البعض في  
العمل، هو شخص تتبع منه اللطافة، لكنها لطافة  
محفوفة بالخبث، خبثٌ قليل لا يظهره ويصعب  
اكتشافه، بالحقيقة صنفته من أفضل ممثلي القرن  
العشرين!

كان على علاقة طيبة للغاية مع رومان حتى علاقته  
مع ميري طيبة كذلك وكانا يتحدثان ويتمازحان  
كالأخوة وكانا بالفعل كذلك.



- صديقي أعلم أن الأمر صعبٌ للغاية على روحك.
  - إنه ليس صعباً فقط, إنه أشبه بصخرة جيرية على قلبي كلما بكى قلبي دموعاً خزنت هذه الصخرة الدموع وشكلت ثقلاً أكبر عليه.
  - أشعر بجرحك يا صديقي, لكن لا تقلق أنا بجانبك وسنجد الحل.
  - وما هو الحل برأيك؟
  - الحل هو أن تجلس مع إيميلي وتتصت لها وتفهم ما تريده, هي الآن معقدة ومكبلة نفسياً وأنت الوحيد الذي سيخرجها من هذه الحالة.
  - حسناً لك ذلك, سأجرب.
  - أنا متأكد أنها ستعود متأملة أن هناك من ينصت لها غير أمها, فلا تُخيب ظنها.
- رومان من ثقل الأمر على روحه منذ البداية لم يقدر على إيجاد الحل لتشتت أفكاره وتعبه القلبي والعقلي. صديقنا بيتر لم يترك هذه اللحظة دون وصف, فكتب الآتي: "الأصعب من سقوطي على وجهي, هو رؤية أبي يوشك على البكاء, الصخرة التي كنت أختبئ خلفها من كل الصدمات ها هي بدأت بالتفتت".

وبالفعل بدأ رومان بالضعف صحياً بسبب كثرة تفكيره, وبعد عودة إيميلي تحدث معها ووجد أن سبب هذا كله غيرتها من أختها لأنها ستتزوج قبلها!

يا لسخافة الأمر و يا لسخافة تفكيرها!

فكانت تكرر عبارة : "العيد الصغير يسبق الكبير" وكانت مقتنعة أنها هي الأحق بالزواج في هذا الوقت، مع العلم أن عمرها كان تسعة عشرة عاماً فقط، ما كان على رومان سوى القبول, وتزوجت إيميلي وسط أجواء كئيبة من ناحية عائلتها, الذين لم يرقصوا حتى في حفل زواجها بسبب سوء معاملة أهل بول.

ملاحظة: بول زوج إيميلي.

القطعة الأولى من روح ميري ورومان قد سلبت والثانية على وشك أن تسلب, فرانك ونيينا اقترب حفل زفافهم لكن كان هناك شخص سيفتقدها أكثر هو: بيتر, فنينا هي التي ربت بيتر، حتى أنه اتخذ وقتاً كبيراً ليقتنع أن ميري هي أمه وليست نينا, وبعد زفافها الذي انتهى بدموع بيتر على رحيلها بعيداً عنه وعدم تمكنه من رؤيتها إلا في المناسبات, كتب بيتر الآتي: "على الرغم من أنني كنت سعيداً لها سعادة عارمة، وعلى الرغم من أنني الشخص الأكثر سعادة

لها والشخص الذي رقص أكثر من الجميع في زفافها، حين دقت ساعة الفراق لم أستطع إخفاء حزني فانفجر نبغ من الدموع الذي حبسته منذ آخر سقوط لي على وجهي".

بيتر فقد قطعة من قطعه الثلاث، القطع الأعلى على قلبه التي كانت بالنسبة له هي أمه، أبوه، نينا، خسر واحدة من تلك القطع الثلاثة، لكنه تأقلم مع الوقت. الشيء الذي ساعد بيتر في جميع محناته في صغره وحتى في كبره هو سرعة تأقلمه. لم ينته مفعول الحظ السعيد في هذا البيت فقد حان دور رومان ليفقد قطعة أكبر من روحه، القطعة التي كانت معلقة به منذ الطفولة والمحبة والمفضلة له سُلبت؛ والحديث هنا عن تريشا يا أصدقائي، الفتاة التي كانت المفضلة لأبيها، كانت الأوفر حظاً بالسعادة كما توقع الجميع فحرص رومان على تزويجها من شخص مناسب لا يؤذيها بتاتاً، فكان الشخص هو ابن قرييته "إيما".

إيما كانت على علاقة حسنة مع رومان كونهما أقرباء فعرضت عليه فكرة زواج ابنها كيفين من ابنته تريشا، تردد رومان خوفاً على فقدان تلك القطعة فكان الحل هو سؤال القطعة إذا أرادت الانفصال الروحي أم لا، وكانت الإجابة "نعم".

تم التجهيز للحفل على أفضل شكل وكل المؤشرات تؤكد أنه سيكون زواجا ناجحا بعد تذبذب علاقة أختيها, صديقنا بيتر رأى موقفاً لن ينساه موقف يتعلق بأبيه الذي يحبه أكثر من أمه, فكتب الآتي: "إن أصعب ما توقعته في الحياة وتدربت عليه كثيراً في مخيلتي هو رؤية أبي باكياً بعد أول مرة رأيته بها, كي يكون الألم على روعي أقل, ففي حفل وداع أختي تريشا شاهدت أبي يجهش بالبكاء, بكاء يشابه بكاء الأطفال, حينها شعرت أنني أنا الأب وليس هو. تألمت ألماً مماثلاً لألمه حينما كان يجلب لي الألعاب في صغري بعد بذل جهد كبير لجلبها, ألعاب ندمت على تحطيمها وما زال الندم يرافقني حتى الآن".

الأحداث السعيدة لم تنته بعد يا أصدقائي, فرومان حان وقت تقاعده من العمل وحصوله على راتبه التقاعدي. أمر جعله يفكر بعمل يكون له ويديره بعد تقاعده, وكانت الفكرة الأنسب له هي شراء حافلة يوصل بها الموظفين لعملهم مقابل مبلغ مالي. رومان كان متسرعاً, فما كان يعرف أشخاصاً من أقاربه يقومون ببيع حافلات. صال وجال كثيراً وسأل الكثير من معارفه ولم يجد نتيجة, فقرر أن يضرب ضربة حظ ويذهب هو ليبحث بنفسه. اختار متجراً عشوائياً

لبيع الحافلات, حافلة كلفته الكثير من المال, حتى اضطر لاقتراض بعض المال من البنك كي يدفع جزءًا بسيطًا من ثمن الحافلة، زد على ذلك مرتبه التقاعدي الذي سيتم السحب منه شهرياً عن طريق البنك مبلغاً مادياً اتفق عليه رومان والبنك قبل بدء العملية. سارت الأمور بشكلٍ رائع؛ فتمت عملية الاقتراض وتمت عملية الشراء كذلك, وعاد رومان إلى منزله هو وحافلاته التي جعلت السعادة تغمر منزله. بيتر كان يجلس لساعات بداخل الحافلة ويخيل له أنه يقود الحافلة بنفسه ويوصل أباه وأمه لمكان معين, حتى أثناء نومه ووسط أحلامه كان يحرك يديه وهو نائم متخلياً نفسه يقود الحافلة.

رغم حجم سعادة بيتر فإنها لا تقارن بحجم سعادة رومان, هذا ما أثمرته سنين شقائه الطويلة الشاقة المتعبة, والشيء الذي ساعده بشكل جيد في عمله والازدهار به هو عمل جودي.

جودي يا أصدقائي التي كانت تعمل منذ فترة ليست بالطويلة, قبيل حفل زفاف إيميلي, وتعرفون ما هو السبب الذي دفعها للعمل....

كانت تجلب الزبائن لرومان، وتنشر بين صديقاتها الأخبار أن والدها يمتلك حافلة توصل الموظفين.

جودي كانت مقربة لأمها بشكل أكثر بكثير من رومان, فبعد عملها بيومين قررت خلع الحجاب ما جعل أمها تتخاصم معها لفترة وجيزة, ثم عادت الأمور إلى مجراها وفرضت جودي عليها وعلى الجميع قرارها.

لكن سأترك لنفسي بعض المساحة لقول رأيي حيال أمرٍ ما...

"هناك شيءٌ لا أفهمه من شدة غرابته, والبعض يشير إليه بالتطور, وحين أطرح أفكارٍ و آرائي حيال الأمر, يقول الأغلب: أنت تدعو للتفرقة بين المرأة والرجل.

أجل أنا أدعو لذلك, سواء في الحافلة أو في الجامعة أو في المدرسة أو حتى في المهرجانات, لكن هل يعتبر التبرج عند النساء والغرائز المتخلفة عند الرجال انفتاح وبداية تطور؟

إن أغلب الرجال يفرحون ويريدون استمرار ذلك, لأنهم يأخذون هذا الأمر على مبدأ تفريغ الشهوات مجاناً, مما يعني أنهم يأخذونك يا امرأة كسلعة, أتقبلين أن تكوني سلعة؟

فأنتِ لن تجدي الكثير من أصحاب العقول النظيفة  
والقلوب الطاهرة التي تخاف الله في الشوارع!  
في الحقيقة إن الأغلب كالمقطط يزنون في الشوارع،  
مجتمعٌ هرم ونهج حياةٍ قذرٌ."

ثمرة عمل رومان ازدهرت في أول شهرين ثم بدأت  
بالانحدار، بدا أن الحافلة فيها خلل منذ شرائها ولم  
يلتفت له رومان الذي كان يريد الشراء فحسب. وبعد  
أربعة أشهر من صمود تلك الحافلة التي كلفت رومان  
الكثير إثر تعطلها المتكرر، قرر رومان بيعها بعدما  
اكتفى من تحمل عبئها. وعندما قام ببيعها بقي مديونا  
للشخص الذي خلصه من حسابات البنك فأصبح  
رومان يدفع له شهرياً بدل أن يدفع للبنك.

ثمرة حياة رومان ذهبت سدى، ذهبت بسبب شخص  
محتال لا يخاف الله بتاتاً، رومان المسكين لم يتحمل  
الصدمة فبدأت تظهر عليه علامات الكبر، فتلك  
الحادثة وأنا متأكد تماماً مما أقول، تركت في نفس  
رومان أثراً لا يزول، حتى أن ذلك الأثر النفسي  
يلاحظه المرء الآن وبعد سنوات طويلة كأنه حدث  
لتوه. وصل الحزن أشده ما جعل الأمراض تغزوا  
جسد رومان من قلة الأكل والشرب وكثرة تدخينه  
"الشيشة". اشتد المرض على رومان الذي لم يرد

الذهاب للمستشفى لأنه يعلم جيداً التعقيدات التي ستحدث -كونه عمل هناك لسنوات.

رومان الذي كانت عائلته بأسرها تستمد منه القوة والصلابة الآن تشربت الحزن بعد مرضه وظهوره ضعيفاً. صديقنا بيتر المتعلق بأبيه كثيراً وصف لحظة مرض أبيه بالآتي:

"لم يكن هو المريض فحسب كنا جميعنا مرضى كنا نشعر بما يشعر به, ضعفه جعلنا جميعنا ضعفاء".

وبعد جهد جهيد تم أخذ رومان للمشفى الذي لو تأخر عليه يوماً آخر لانفجرت معدته التي كانت تعاني من انسداد بالأمعاء الغليظة, تحسن رومان بعد عملياته التي دخلها على دموع صغيره بيتر، والذي كان متخوفاً من فقدان أبيه وقطعة روحه الكبرى. عادت الأمور إلى طبيعتها بعض الشيء لكن الأولاد ليسوا على طبيعتهم بتاتاً؛ فبيتر تعلم الشيشة من أبيه بعد أن شاهده يدخنها بكثرة وبيتر كشخص معجب بأبيه كان دوماً يقلده في كل ما يفعله.

جودي كانت لها انحرافات سرية لن أوضحها لكم الآن لأن الدليل سيكون في قادم الحديث. أما نينا رزقت بفتاة لكن علاقتها لم تستمر مع فرانك الذي



كان سيء المعاملة وكثيراً ما يضربها ويوبخها  
بالكلام، فقررت النجاة بشخصها وابنتها وتحمل  
مسئوليتها التي تعرفها أكثر من أبيها.

تريشا محبوبة أبيها، والأكثر جمالاً بين أخواتها،  
كانت تعاني بشكل أكبر من نينا التي تتشابه جسدياً  
وشكلياً مع إيميلي التي كانت نحيلة للغاية، الأمر  
مشابه قليلاً، فرانك كان مدمن كحول وكيفين كان  
مدمن للحشيش، كل هذه الصفات السيئة التي  
ينحدرون منها كانت مخفية في البداية، فبالتأكيد  
سيكونان أجمل بالباديات، تماماً مثلما اتفقنا يا  
أصدقائي على أن أغلب الأشخاص كذلك. إيميلي التي  
رزقت بفتاة حتى الآن كان زوجها أيضاً مدمناً  
للحشيش ويعاملها المعاملة نفسها السيئة، نينا وتريشا  
عادتا إلى أحضان أمهم وأبيهم أما إيميلي ما زالت  
متماسكة برغم أنها ليست مجبرة. صديقنا بيتر كتب  
لنا الآتي فيما يخص هذا الأمر: "كان الله يعاقبهم من  
شدة الشقاء والعناء اللذان الحقوه بأبي وأمي، كنت  
حزيناً جداً ليس لسوء المعاملة التي يتلقونها، بل من  
أجل عدم فهمهم لأخطائهم السابقة الذي وقعت على  
رأسهم من بعدها".

هنالك أمر يجب أن أوضحه لكم بعد تلك الأحرف  
التي كتبها بيتر.

هو بالفعل صادق فيما يقوله، عانى رومان وميري  
من بناتهما فقد أصرت كل واحدة على اختيار  
العريس الذي كان في عين ميري ورومان غير  
مناسب وظهر وتبين أنه فعلاً ليس مناسباً أبداً. تريشا  
التي تكفل أبوها بزواجها واختيار العريس لها كونه  
يكن الحب الأكبر قدراً لها من بين أخوتها نصحتها في  
آخر اللحظات بالعدول عن الزواج من كيفين ولم  
تنصت له وتلقت ضربتها هذه نتيجة عصيانها  
لوالدها.

علينا أن نتفق جميعاً أن أي خطأ تفعله سيكون مردوداً  
عليك مهما تأخر الرد، لا تقلق سيعود منك ولك.

الشيء الذي حدث لتريشا وجعلها تفترق عن كيفين  
هو هروبها في منتصف الليل طالبة النجدة بعد  
ضرب مبرح تلقتة من كيفين، ما جعل رومان وميري  
لا يتناقشان أبداً مع عائلة كيفين للإصلاح. تريشا التي  
كانت تخبط الأبواب وتصيح في الطرقات بمنتصف  
الليل أو بعده بقليل؛ طالبة اللجوء والاختباء ولو  
للصباح حتى تهرب من كيفين الذي كان يلحق بها  
وهو تحت تأثير المخدرات، تمكنت من الاختباء عند

أحد الأشخاص الطيبين المقدرين لها من السماء  
ليساعدها في الدنيا, هذا الشخص قدم جميع الخدمات  
الممكنة لها فمنحها اللباس الذي استعاره من ابنته،  
والطعام الذي جعل زوجته تحضره لها والمكالمة بعد  
هذا كله مع عائلتها.

- مرحباً, السيد رومان؟

- نعم, من المتحدث؟

- أنا شخص اختبأت عنده ابنتك وقالت أنها فارة من  
منزل زوجها بعد تلقيها لضرب مبرح, هي الآن  
بجانبي تستطيع التحدث لها وفهم الأمور.

- أنت تمازحني أليس كذلك؟

- لا يا سيد رومان ستتأكد بعد حين.

تكلمت تريشا مع رومان وشرحت له جميع ما حدث  
فتحرك رومان فوراً، مع تأخر الوقت وقلة الخدمات  
التي ستوصله إليها كان الأمر شبه مستحيل، لكن  
دييغو صديق رومان العزيز الذي كان يملك سيارة  
حينها لم يتردد في الوقوف بجانب رومان وذهبا سوياً  
وأحضرا تريشا بعد جلسة امتدت لرُبع ساعة كان  
موضوعها الرئيس هو شكر الرجل على طيبته  
وحسن خلقه وتصرفه. ومن بعدها انفصلت تريشا عن  
المحتل الظالم وبتعبير أصح المختل, لكن بقي الأثر

بروحها وما نجم عنه من أضرار فقد واجهت صعوبة كبيرة في تخطي ذلك, لكن هذا ليس كل شيء فستتذوق ضرر أكبر من ذلك "لاحقاً".

إنه العام ألفان وستة عشر, ونحن في أوائله..  
منعرجات كثيرة أخذتنا بها قصتنا. رومان بعد وعكته النفسية والصحية التي تلتها أصبح عاطلاً عن العمل. كثيرٌ من الكلام الجارح القليل من فرص العمل لرجل بعمره. رومان يا أصدقائي حينها كان يبلغ من العمر ثلاثة وستين عاماً, كان أشبه بعاجز عن العمل الشاق، وإن أصر سيكون العمل شاقاً بالتأكيد مما قد يضر بصحته مجدداً. رومان كان تحت رحمة ميري التي تعمل وجودي كذلك ونينا التي عملت هي أيضاً.

بيتر يتفوق سنة بعد سنة دراسياً واقترب من إنهاء المرحلة الأساسية والدخول في الثانوية كان هو كذلك تحت رحمتهم, فكتب بيتر أربع كلمات تصف حالته الحالية والمقبلة التي سأحدثكم عنها بعد قليل:  
"شيخوخة أبي عشتها في صغري".

تذكروا هذه الأربع كلمات جيداً لأننا سنعود لها مستقبلاً في أحداث قادمة.

في يومٍ من أيام الشهر الثاني من السنة جاء أناس جُدد إلى البناية التي يسكن فيها رومان وعائلته -فتاتان- وهما الشخصيتان الجديدتان في قصتنا فأرجو عدم الترحيب بهما لأسباب ستعرفونها بعد حين.

شيلا ومارلين, يوحى شكلهما الخارجي أنهما وحيدتان ولا يملكان إلا القليل, لكن الأمر كان مخالفاً للمظهر كلياً, كان أول المحتكين بهما رومان الذي كان يحب النساء بشكل فظيع بعد أن تقدم بالعمر وتقدمت زوجته أيضاً بالعمر والوزن!

فحاول التقرب منهما بأية طريقة لمعرفة من هما وما قصتهما. ليس ذلك فحسب بل كانت نيته سيئة للغاية, لكنه لم يكن يعلم ماذا ستكون عاقبة خطئه.

كان له ما أراد، ولكي يبعد الشبهات عنه عرّفهما على ميري وبناته, وأصبحتا تزوران ميري باستمرار. ميري كانت منزعة منهما للغاية وكذلك بيتر الذي كان يعاني من أطفالهما عندما يدرس أو يشاهد الأفلام في غرفته. كانوا مزعجين جداً ولا يمكن احتمالهم. كانوا يجلسون جميعاً في جلسة يملأها دخان الشيعة الذي ملأ مسبقاً غرفة بيتر المحب للهدوء والابتعاد عن الضوضاء.

ميري وبعد رفضها للفتاتين في البداية إلا أن علاقتها بهما أصبحت أقوى من علاقة رومان بهما. ما حدث بعد هذا التقارب مشين جداً بالفعل وإليك الأحداث.

ميري أصبحت تارةً تتناغم على لحن رومان وتارة على لحن شيلا ومارلين. أصبحت مهملة لبيتر ورومان اللذان يقضيان أغلب وقتها في المنزل، أما نينا وجودي أغلب وقتها في العمل وبعض ساعات الانحراف، وشاركتها في العمل والانحراف تينا التي بدأت تعمل منذ مدة قصيرة لفشلها دراسياً، وميري بدورها إن أرادت أن تطبخ تأخذ الجيد للفتاتين وتترك قليل الجودة لبيتر ورومان، وكانت تبيت عندهما في الكثير من الليالي مما جعل رومان يغضب كثيراً من تصرفاتها، وبالطبع المرء كزجاجة حجمها لتر واحد لا يحتمل أكثر من قدرته.

رومان كان عاجزاً عن الحل وميري بدورها كانت تروق لها الحياة الجديدة، أما شيلا ومارلين -وهما في مثل عمر جودي ونينا- كانتا تروقان للغاية لميري التي في عمر أمهما، وعلى الأغلب كانت تعمل عندهم في تنظيف المنزل لتحصل على بعض المال تنفقه على ما يحلو لها.

لكن التحول الأكبر حصل بعد ذلك, شيلا المقربة أكثر من مارلين لميري بدأت فعلياً بغسل دماغ ميري تدريجياً, فأول خطوة كانت هي إقناعها بأنها ما زالت صغيرة وجميلة, وكانت كذلك بعين عائلتها, فبعد أن أنهت تنظيف المنزل جلست مع شيلا وقالت:

- أوه, أشعر بالتعب.
- ما خطبك يا ميري؟ لا زلتِ شابة.
- هاهاها, لا يا شيلا لقد هرمت.
- أنتِ تظنين ذلك وأقنعتي نفسك بذلك, لكنك ما زلتِ شابة ويافعة, حتى أنك تستطيعين الزواج مرة أخرى!
- هاهاها, ومن قال أنني أفكر في هذا.
- لا أحد, لكنني أشعر بما في داخلك وأعلم أن رومان لم يقترب منك منذ مدة؛ وهذا يجعل المرأة تشعر بأنها دون قيمة.
- محقة يا شيلا لكن ما باليد حيلة.
- إليكِ الحل, حاولي التقرب أكثر فأكثر فربما يتغير الحال, وإن لم يتغير سنجد حلاً أنا وأنتِ سوياً, اتفقنا؟
- حسناً اتفقنا.

وبالفعل فعلت ميرى ما قالتة شيلا بالتحديد, وبدأت تحاول التقرب من رومان بشكل أكبر كي تشعر أنها امرأة على حد وصفها. رومان بدوره الذي هزم مسبقاً من ظروف الحياة التي أرهقته توالياً, فخراب حياة فتياته, وثمره عمله التي ذبلت, وشعوره بعدم الثقة بالنفس كونه لا ينفق على المنزل وبلا مرتب معيشي وبلا عمل, كان همه الوحيد هو الاستقرار مجدداً وتخفيف الحمل عن جودي ونيينا, لكن ميرى لم تكن تشعر بما في داخله, فكانت محاولات اقترابها تبوء بالفشل, ما جعلها تنفجر غضباً.

هنالك أمر استغربه حقاً؛ ألا تشعر المرأة أنها امرأة مع زوجها إلا عند ممارستهم الجنس!  
لكم حرية الإجابة.....

وبعد رفض رومان لها, جلست ميرى مع شيلا لتشكو لها وهي مندفعة وتبكي, فقالت وهي في حالة هستيرية:

- لم يتقبلني يا شيلا بتاتاً.
- ماذا هناك يا ميرى؟ اهدئي وقولي لي ماذا حدث.



- حسناً, حاولت التقرب كثيراً وكل محاولاتي باءت بالفشل كان وما زال يرفضني رفضاً تاماً.
- هذا أمر قبيح, لدي حل لكن يبدو عصياً بعض الشيء.
- قل لي سريعاً أريد حلاً بأي شكلٍ وطريقة.
- أمتأكدة؟
- أجل.
- الانفصال.
- أنتِ تمارحينني صحيح؟
- لا لستُ كذلك, أعلم أنه خيارٌ صعب, لكن عليك التضحية من أجل سعادتك, من بعدها ربما ستستطيعين الزواج من رجل يشعرك بأنك امرأة.
- ماذا عن أولادي يا شيلا!
- سيكونون معك بكل تأكيد, ولا تنسي أنهم كبروا جميعهم الآن!
- لا أعلم دعيني أفكر.
- حسناً, على أقل من مهلك.

ميري لربما ستفكر بنفسها فقط ولإشباع غريزتها في قادم الأحداث, لن تفكر بالفتيات اللواتي يحتجنها فعلاً وبيتر كذلك، ورومان الذي رفضها وكان سبب

رفضه لها ما يعانيه من خراب يسكن روحه, إلا أنه يشعر بالراحة حين يراهم متجمعين.

صديقنا بيتر واصفاً هذه الحالة واللحظة, كتب الآتي:  
"إن جميع تضحيات أمي التي ضحت بها تقديرها كان متوقفاً على خطوتها هذه والتي كسرت بها الجميع، كأنها كانت تلعب الشطرنج و قامت بخطوة كش ملك".

هل فعلاً قرار ميري كان صائباً؟ هل فعلاً ستقدر على تربية أطفالها وجعلهم يتقبلون فكرة العيش مع رجل غير أبيهم, أو فكرة ابتعادها عنهم؟ هل فعلاً ميري مخطئة وفكرت من أجل نفسها فقط، أم أنها تفكر بالانتقام من زوجها، وهل زوجها رفضها لتعبه النفسي أم لاشمئزازه منها، وهل فكرت ميري في عقوبات الخطأ ومردوده, وهل فعلاً هي مخطئة؟

الحكم لكم وأنتم تعرفون المخطئ جيداً, لكنكم لا تعرفون ما تبع هذه الخطوة التي لم أفصح لكم كيف تمت, إلى ذلك الحين استريحوا قليلاً.

## الفصل السادس.

وبعد الخلافات المستمرة بدأت ميري بالتفكير بشكلٍ جديّ بالطلاق الحتمي, وإن قام أحدُ بسؤالها عن ما يزعجها يكون الجواب هو: "الحال ورومان".

إن الكلام الذي عبث برأسها قد أتى بنتيجة فعلية, الكلام الذي تفوهت به شيلا جعل منظومة عقل ميري تتغير كلياً. ربما كانت لا تعي ما تقول وربما كانت تعرف النتيجة وكانت تعرف أنها ستودي بحياة عائلة كاملة ومستقبلها واستقرارها إلى الهاوية, لكنها أصرت على ذلك وآمنت بأنها تفعل ما هو صائب.

لنعد لبيتر قليلاً, بيتر كما ذكرت كان يتجنب الجلوس معهم في العديد من المناسبات, ويكتفي بالجلوس بغرفته لمشاهدة الأفلام أو لتدخين الشيشة أو للعب ألعاب الفيديو, لم يكن يعي أنه وحيد, وحيد وسط عالم يتفكك من حوله, ولم يكن يعي أنه سيقضي سنواته القادمة كذلك. لقد كان ما يحتاجه بيتر حينها بالفعل هو الحنان، أو بأصح تعبير شخص قريب منه, بيتر ليس فقط من عام ألفين وستة عشر هكذا بل من بعد علاقة حب فاشلة عاشها في طفولته وكبرت معه.

كان دائماً يلجأ للحب باحثاً عن صديقٍ لروحه, باحثاً عن شخص يقربه لكن دون جدوى, الحال قادتته إلى ذلك وقادته أيضاً للنضج مبكراً وبسرعة. الاضطراب الذي كان حوله قاده للجوء لطرقٍ أخرى تبدو خاطئة بل لا تبدو فحسب بل هي خاطئة نسبةً لعمره؛ فقبل نفاذ صبره عاش قصة حب أخرى أثرت به فعلياً لكن سأشرح لكم مدى تأثيرها لاحقاً.

نحن في منتصف السنة من العام ألفين وستة عشر, ميري ورومان أبعد مما كانوا عليه منذ الأيام التي سبقت ولادة بيتر. هناك نار كانت شرارتها كلام شيلا وأشعلها صغر عقل ميري. وفي إحدى الليالي التي تلت ليالي من الشجار كان رومان وبيتر يجلسان أمام التلفاز إلى حين دخلت عليهما ميري قائلة باستح qar:

- هذا ما تفعلون به.

هرع رومان من مكانه ورد:

- ماذا تقصدين؟

- أنت تفهم قصدي يا رومان, على العموم إن لم تطلقني ستفعل ذلك المحكمة, وتأكد أنني مُصرة على الطلاق حتى لو كان الآن.

- هل فعلاً بعد كل هذا الزمن و العثرات التي مررنا  
بها سابقاً تقولين هذا!

- أجل.

- وهل فعلاً أنتِ مُصرة على ذلك؟

- أجل.

- حسناً لكِ هذا على الرغم أنني لا أريده، أنتِ طالق،  
طالق، طالق.

- شكراً لكِ وداعاً.

ثم خرجت من المنزل والسعادة تملأ عينيها والبهجة  
تسكن وجهها كما أنها استقبلت كلمات " طالق "  
الثلاث برحابة صدر وابتسامة عريضة زينت وجهها  
بتجاعيده، وعادت أدراجها من بعدها إلى الأفعى شيلا  
ضاحكة، وكأن الكون بأسره ابتسم لها، كل ذلك حدث  
أمام صديقنا الذي ما زال صغيراً لرؤية ذلك فكتب  
بيتر في كبره الآتي واصفاً لشعوره حينها:

"كان كل شيء على ما يرام كانت المرة الأولى التي  
أشعر بأن هنالك أحداً قريباً مني للغاية إلى حين قدوم  
أمي التي أفسدت ذلك وأفسدت حياة أسرة بأكملها،  
سامحها الله".

البعض قد ينصف كلام بيتر والبعض قد يقف في  
صف ميري، وأعرف أن أغلبيتهم نساء لكن دعوني

أكون واضحًا وأتجاوز معكم بعقلانية أكبر وبعيداً عن  
العاطفة وقريباً من المنطق...

من تحمّل كل هذه السنين من أجل أطفاله هل سيفسد  
سنين تحمله من أجل نشوة تمتد لسنة أو بضع سنين؟  
الأم يكمن دورها الأكبر في التضحيات من أجل أولادها  
لا بالتضحية بهم من أجلها!

ميري أغراها ما رآته عند شيلا وما يقدمه زوجها الذي  
تزوجته "زواجا عرفيا أو زواج متعة"، ونسيت الحياة  
التي تشاركتها مع رومان بطلوها ومرها، ونسيت  
الليالي التي كافح فيها رومان من أجلها وأجل أطفالهم  
واتبعت هواها والنقود.

ربما كانت ميري تعتقد أن النقود التي ستجنيها بعد ذلك  
من العمل المشين مع الثرية شيلا ستنتسي أولادها ما  
حدث وخصوصاً بيتر الذي حدث الأمر أمامه، لكن  
همها الوحيد كان تعويض سنين حياتها السابقة التي  
ظنت أنها أضاعتها سدى. لم تكثرث للطريقة و  
للأضرار التي ستخلفها، أهتمت فقط بنفسها يا أصدقائي.

ميري لم تكن تعلم أيضاً أن ذلك سيفتت عائلتها التي  
لم تسقط ولم تهرم رغم كل ما مرت به، لكنها بدأت  
مراحل التفكك فعلياً بعد قرارها، التفكك الذي إن لم

يظهر شكلياً ظهر نفسياً، وإن لم يظهر بوضوح ظهر داخلياً. كان هم جودي الوحيد هو رؤية العائلة مجتمعة مجدداً، لم يكن هذا همها وحدها، بل همهم جميعاً. الجميع كان يريد ذلك غير أن الحديث لم يُجد نفعاً مع ميري التي كلما سألت عن السبب تقول أنا اكتفيت، وعندما تُسأل: "ماذا عن أولادك" تقول لقد جعلتهم كبار، سوف يستطيعون الاعتماد على أنفسهم الآن.

محاولات الجميع باءت بالفشل لكن جودي ونينا لم يكلا ولم يملا من ذلك، وأرادتا إرضاء أمهما بأية وسيلة، وكانتا ترفضان فكرة عيشها عند امرأة غريبة. لنعُد بالزمان للوراء قليلاً وتحديدًا سنة واحدة، حين تم زواج تريشا مجدداً ومعها أختها تينا من ابنان لأخت رومان واستقرا حيث كان مسقط رأس زوجيهما.

جودي ونينا أصرتا ذات ليلة على أمهما أن تجد حلاً لمكوثها عند امرأة غريبة بعد أن احترمتا قرار انفصالها عن أبيهما، وكانت إجابة ميري هي استئجار منزل جديد يقمن فيه هي ونينا وجودي وبيتر كذلك، فوافقتا شريطة عدم عودتهما إلى تلك المرأة ونسيانها

تماماً. الشيء الذي نتفق عليه كلنا هو أن ميري فعلاً كانت جائعة حينها.

بيتر كان مضطراً حينها للمكوث مع أمه وأخواته خشية أن يتركهم لوحدهم, كانت تلك أول تضحية قام بها بيتر وهي الابتعاد عن أبيه الذي تعلق به أكثر من تعلقه بنفسه. وجدت ميري منزلاً جيداً له إطلالة خلابة , بقي فقط أن يرى أولادها المنزل. اصطحبت جودي أختها نينا وشقيها بيتر لرؤية المنزل الذي كانوا على وشك استئجاره, كان الجميع سعداء ما عدا بيتر الذي كان عابساً طوال الرحلة الصغيرة التي كان مضمونها استكشاف المنزل.

صديقنا بيتر لم ينسَ تلك اللحظة بتاتاً فكتب الآتي:

"كان الجميع في سعادة عارمة حتى أنهم بدأوا باختيار الغرف, أما أنا كنت أرى وجه أبي التعيس في كل حائطٍ يقع نظري عليه".

تم الاتفاق فعلاً وتم الاستئجار كذلك, وقاموا بنقل جميع أمتعتهم إلا بيتر، فقد ترك بعض أمتعته عند أبيه؛ لأنه كان يعرف أنه سيعود بالليل كثيراً إلى منزل أبيه وكان توقعه صائباً حيث كان يزور أباه في



منتصف الليل يطمئن عليه ويحدثه بالأشواق التي  
ملأت قلبه ويروي له كم يفتقده.

بيتر كُتب له الفشل الثاني وإن لم يكن متأثراً بتاتاً،  
لتفادي فشل استمرار عائلته في البقاء سوياً، وفشله  
في إقناع أمه بالعدول عن قرارها، بعد ذلك الفشل  
الأول فشل عاطفياً ما جعله يفشل دراسياً. بيتر بدأ  
بالانهيار شيئاً فشيئاً، كان يعاني من معارك نفسية  
عظيمة حدثت بداخله كان شارداً ذهن والعقل، لم  
يكن يعي ما يحدث حوله، كان يشعر وكأنه في حلم  
وسيستيقظ منه غداً صباحاً، لكن ذلك الصباح لم يأتِ  
بعد.

لنعد لرومان قليلاً، الرجل المسكين العاجز بعض  
الشيء والذي أصبح وحيداً بعدما كافح من أجل  
عائلته، عائلته كافحت للابتعاد عنه. رومان كان  
يتدهور صحياً، يوماً يأكل ويوماً لا، كان يدخن  
الشيخة بكثرة لحرق ما بداخله من ألم، حتى إنه كان  
يستدفيء على نيران محضر الطعام لعدم امتلاكه ثمن  
وقود المدفأة. الوحدة التي كان يعيشها رومان كان  
يعيشها بيتر أيضاً، كانا ضحية غريزة ميري الجائعة

للنقود, فكتب بيتر مجدداً الجملة التي وصفت حالته السابقة: "شيخوخة أبي عشتها في صغري".

جوع ميري لربما سينتقل لجودي ونينا اللتان زاد عليهما الحمل فكانتا مسؤولتان عن منزل أمهما وأبيهما, ما سهل أمر غسل عقولهن سريعاً وبسهولة كما تم غسل عقل ميري. كانتا بالفعل جائعتان لكن لا أحد منهما كان يقدر جمال الحياة البسيطة، كانتا تحبان حياة الرفاهية. لم يعجبهن الكنب رخيص الثمن ولا التلفاز الصغير ولا الطعام البسيط غير الفاخر. ميري كانت أشبه بمديرة أعمالهن وأوقعتن بالخطأ كما أوقعت نفسها به عندما أنصتت لشيلا، فإليك ما حدث بعدما عادت ميري للحديث مع شيلا.

- أترين هذا كله؟
- ما به يا شيلا؟
- أنه من طريقة سهلة للغاية يا ميري.
- وما هي؟
- الزواج العرفي.
- لم أفهمك حقاً!
- حسناً سأوضح لك, ما رأيك بأن أبحث لجودي ونينا عن عريسين غنيين يقضون معهم شهراً إن

أطالوا قضائهم, ومن بعدها تتكرر العملية ويتحسن  
حالكم؟

- فكرة تبدو جيدة لكن دعيني اسألها عن رأيهم حيال ذلك.
- حسناً.

راقت الفكرة لنينا وجودي وقبلتا العرض المقدم من  
أمهم لعمل ذلك تخيلوا معي جيداً يا أصدقائي, أمهم!

كان كل ذلك يحدث أسفل الطاولة والطاولة كانت  
بيتر, كانوا متخوفين من معرفة رومان بالأمر أو  
إخبار بيتر له في حالة معرفة الأخير بذلك.

إنه العام ألفين وثمانية عشر, جودي بدأت بالانحراف  
بشكل رسمي أمام أمها وبشكل مخادع أمام بيتر,  
انحراف جرت به معها أختها نينا التي كانت مثل  
العربة تجرها جودي أينما وحيثما تريد. بدأ المنزل  
يزداد جمالاً بعد أول عملية زواج أجرتها نينا  
وجودي سراً عن أخيهم بيتر القريب منهما جداً، وعن  
أبيهم البعيد بعض الشيء. كل هذا جعل بيتر يشكك  
بالأمر ويلجأ لطلب المساعدة من أبيه لفهم ما حصل  
ويحصل حوله.

- أبي هناك أمر أريد مصارحتك به.
- ماذا هناك يا بُني؟
- هناك أمر عجيب يحدث من حولي ولا أجد له تفسيراً.
- ما هو قل لي وسنجد تفسيراً له سوياً.
- حسناً يا أبي, أنت تعلم أن دخل جودي ونيينا محدود أليس كذلك؟
- أجل ما هذا السؤال الساذج يا بُني؟
- إنه بداية لسؤال أعمق مما تظن يا أبي.
- حسناً أكمل.
- هل يستطيعان فعلاً ملاً المنزل كاملاً بأمّعة جديدة كلياً؟
- أنه أمر صعب لكن جوابه في جعبتي.
- ما هو أخبرني أرجوك يا أبي أهلكني التفكير فأنا متخوف من شيلا جداً ومدى تأثيرها على جودي ونيينا, وأنت تعلم ماذا فعل تأثيرها بأمي.
- فرع رومان وكان القوة عادت لجسده الهزيل, ورد:
- هل قلت شيلا! هل ما زالت تزورك بعد أن اتفقت جودي وميري على أن لا يقابلا تلك المرأة مجدداً؟
- أجل يا أبي إن علاقتهم أقوى مما سبق.

- كنت أعلم ذلك... لكن ما تفكر به ربما بعيد كل البعد قليلاً, فأخبرتني جودي أنها اقترضت بعض المال من البنك لتسيير حياتها قليلاً وجلب ما يجول بخاطرها.
- همم, حسناً يا أبي أرحتني قليلاً لكن ما زال هنالك شكوك في نفسي.
- ارتح يا بيتر لا يوجد شيء مما يدور في رأسك.
- حسناً أبي, اسمح لي بالذهاب الآن.
- حسناً, اعتنِ بنفسك.
- سأفعل, وأنت كذلك.

ما كان يدور في داخل بيتر أن جودي ونينا فعلاً بدأتا بالانحراف، فخرجت في ساعات متأخرة وتركه وحيداً في المنزل جعل شكوكه تزداد. كانت حجة جودي ونينا هي الذهاب عند أمهم ميري التي عادت للمكوث مع شيلا مجدداً, فكيف سيرفضون ذلك وهي مديرة أعمالهم و تمويلهم بالنقود!

إن انحراف جودي ونينا بدأ بالوضوح شيئاً فشيئاً أمام بيتر. بيتر المسكين كان يفقد زمام الأمور فليس بيده حيلة. عانى بيتر من الوحدة مجدداً وأصبح منغرساً بالعار الذي لحق به من جودي ونينا وأمه, حاول

تمالك نفسه لكنه كان عاجزاً، كان ضعيفاً للغاية أمام  
خبث وجوع ميري وجودي ونينا.

بعد كل زواج يتقاسم الثلاثة النقود المدفوعة ميري  
وجودي ونينا، كانوا يطيطرون من الفرحة ونسوا بيتر  
وما يعانيه نفسياً مما رآه. كانوا لا يحرمونه من شيء  
سواء كان سجائر أو طعام لكن لم يكونوا يكثرثون لما  
يعانيه نفسياً، فهو قد رأى ميري مع رجل أمامه ورأى  
نينا مع عشيقها عائدة للمنزل في وقت متأخر عدة  
مرات، ورأى جودي برفقة العديد من الرجال تشرب  
الخمير وتلبس لباس يشبه لباس العاهرات، وبائعات  
الهورى.

الطريقة التي شربت منها ميري العار هي نفس  
الطريقة التي جعلت جودي ونينا يشربانها. يبدو الأمر  
كأنه وراثي ينتقل بينهن، فبعدما شرب الجميع بقي  
بيتر الوحيد الذي لم يشرب من كأس العار ذلك،  
فكيف لهم ألا يشاركوا بعضهم البعض الطعام  
والشراب!

بيتر الذي شرب من كأس مذاقه أمر ومختلف عن  
كأسهم، كأس جرّعه العذاب ومرارة الوحدة كان  
أهون عليه من كأس العار ذلك.

إصرار جودي لمشاركة أخيها الكأس تحقق فقد بدأ  
بالشرب منه فعلاً لا شعورياً، أصبح سكيراً ومدمناً  
على التدخين لا يأبه إلا لأجواء الإدمان فقط، يستيقظ  
على التدخين وينام على الخمر.

لكن هذه لم تكن مشكلة بيتر الوحيدة، مشكلة بيتر  
كانت يا أصدقائي هي طريقة عيش شقيقته وأمه؛  
فهم يعيشون حياة حرة أكثر من اللازم، تذكرت المثل  
الذي يقول: "الجاهلة إن قرأت عن الحرية خلعت  
ملابسها" وجودي بالتحديد كانت كذلك.

لكن هذه المشكلة تفاقمت مع مرور الوقت، حيث أن  
جودي بدأت بأخذ مجدها وحريتها، كون أخيها  
السكير والمغلوب على أمره والذي يغسل دماغه شيئاً  
فشيئاً لا يفعل شيئاً يذكر إلا بطريقته المعهودة وهي  
الأصح. طريقة بيتر لمعالجة الأمور كانت النقاش  
والتفاهم، على الرغم بأن الطريقة الأنسب مع ذلك  
النوع من البشر هي العنف. بيتر لا يقتنع بالعنف بتاتاً  
ولا يلجأ إليه حتى مع نملة صغيرة، فكان طريق  
العنف بالنسبة له آخر ما يفكر به، فلجأ للنقاش ولكن  
لا جدوى كان يتحدث مع نفسه فقط.

جودي ازداد حس الوقاحة في دميها لدرجة أنها كانت تُعرّف الفتيات الذين تعرفهم على بيتر, فماذا برأيكم ستكون نظرتهم لبيتر؟

تماماً مثلما خطر على بالكم الآن, أحس بيتر أن أولئك البشر -أصدقاء جودي في الانحراف- يقرون ويعترفون مجتمعين أنه قواد وبلا رجولة بتاتاً, وهنا بدأ صراع بيتر الداخلي الذي لم تشعر به جودي طالما هي مستمتعة بعيش حياتها كيفما تريد, فما كانت تأبه للأضرار التي خلفتها طريقة المعيشة الوقحة تلك, وما كانت تأبه بالضرر الذي ألحقته بأخيها عندما أدخلته لعالم الإدمان حتى ينشغل عقله عن تتبعها.

لنعد لنينا قليلاً, حدثت حادثة من تدبير القدر أبعدت نينا قليلاً عن مسار أختها الكبيرة جودي, كانت نينا تخاف من الأشباح وعلى وجه التحديد الجن, المنزل الذي يتمركز تحتهم بالضبط كان مسكوناً بالجن, فتلبس أحدهم إحدى الفتيات اللواتي كن يعشن مع أمهن آنذاك, مما دفع نينا للرحيل من شدة خوفها, فعادت أدراجها عند رومان المسكين الذي كان بالفعل بحاجة لشخص يعتني به, فأكثر القلوب طيبة قلما تشعر بالسعادة ويكثر تجاهل الناس لها!



قامت نينا بالمهمة لكن ليس على أفضل وجه؛ فكانت تخرج في عدة ليالٍ قائلة لرومان الكلام ذاته الذي كانت تقوله هي وجودي لبيتر عند الخروج "ذاهبة إلى أمي"

وحينها تذكرت مثلاً شائعاً عندنا مضمونه الآتي:  
"ذيل الكلب يبقى أعوجاً".

لنعد لبيتر الذي أصبح مدمناً على الكحول بسبب أخته جودي, بيتر كانت تروق له فكرة التأقلم أكثر من فكرة التآلم فحاول التأقلم مع معيشة أخته رغم أنها لا تروق له بتاتاً, فكان يحب الهدوء ويحب الشاي مدمناً عليه, إلى أن أصبح مدمناً للخمر بدلاً عنه, أما السجائر التي أدمنها كانت لتخفف مرار طعم ذلك السم. كانت معارك عديدة تحدث داخل بيتر المسكين, معارك شنتها أفكاره ومعتقداته وأخلاقه وحتى تربيته التي رباها لنفسه. كان يريد التخلص من إدمانه والتوقف عن شرب ذلك السم, على الرغم من أنه كان يخرج قليلاً من العار الذي انغرس فيه هو أيضاً. كان ينسى أولئك الأشخاص الذين أخذوا عنه فكرة خاطئة, وينسى أفعال أخته وسمعته التي بدأت تتشوه بين أصدقائه, الذين كانوا كثيراً ما يشاهدون أخته جودي في العديد من السيارات ومع العديد من

الشبان, ومع هذا وذاك وهذه وتلك ناهيك عن لباسها  
الفاضح الذي كان يحرك الغريزة الجنسية للحجر.

اشتدت الصراعات في داخل بيتر حتى أنه تحدث مع  
نفسه كثيراً ومراراً وتكراراً لكن لا جدوى, كان همه  
الوحيد سمعة شقيقته وأمه, لكنه لم يكن متأكداً مما تفعله  
شقيقته رغم المسار المنحرف الواضح الذي تسير فيه,  
فما كان يريد أن يظلمها حتى يرى بعينه شيئاً كبيراً لا  
يستطيع أن يصمت عنه. وفي إحدى الليالي عرف بيتر  
أن أخته جودي متزوجة سراً, كذلك الحال أيضاً بالنسبة  
لنينا فغضب غضباً شديداً, وكان على وشك الخروج من  
المنزل لكن نينا أوقفته وتحدثت معه. كانت تلك العملية  
تطبق على فئة تسميها الفتيات "الخراف", لكن في  
العمق العميق يحدث نوع من الخداع من قبل الفتاة  
للرجل من أجل الحصول على أمواله, وغالباً ما تحدث  
تلك العملية مع رجلٍ أبله أو مسكين, لكنني أتعاطف مع  
تلك الفئة التي تم نعتها بالخراف؛ فهم في الغالب يفعلون  
ذلك بدافع الحب -إن صح التعبير- وليس بدافع  
الشهوانية, وحب الجنس, بعضهم ليسوا جميعاً, لطالما  
توجد حالات استثنائية!

جودي ما كانت تقوى على فعل ذلك, ما كانت تقوى  
على التحدث مع بيتر، وإن أراد التحدث معها لن يأخذ  
منها حقًا ولا باطلا؛ لأنها لا تحب أن يتدخل أحد في  
شؤونها الشخصية وطريقة حياتها, وإيكم ما حدث بينهم  
ثلاثتهم.

- أنتما في سعادة أليس كذلك, تروق لكم الحياة هكذا  
صحيح؟

ردت نينا وهي تبكي على بكاء بيتر:

- لا يا أخي أنت تعلم أن الحمل أصبح ثقيلًا فمن أين  
نأتي بالنقود لاحتياجاتنا, قل لي أنت؟

رد بيتر وكانت حالة اليأس تملكه كلياً والدموع  
تنهمر بغزارة من مقلتيه:

- هناك العديد من الطرق غير العار الذي تغرقان  
فيه, فهذا كله لن يدوم لأنه حرام.  
- حسناً... حسناً توقف عن البكاء أرجوك أعدك بأن لا  
نعيد الكرة مجدداً.  
- أمل ذلك.

ردت جودي في تداخل وهي حائقة:

- لا أحد يملك الحق للتحكم بما أفعله.

وثب بيتر وأتجه لها وكأنه يجهز قبضته ليلكمها, إلا أنه تمالك نفسه وقال وهو على مقربة منها:

- أصمتِ أيتها المنحطة لا أريد التحدث معك في أي شيء.

- أصبحت عاهرة الآن أليس كذلك؟

- وها أنتِ تقرين وتعترفين بعظمة لسانك.

- أنسيت الطعام والشراب واللباس والنقود التي نقدمها لك؟

- تستطيعين استردادها فلا أريدها ملطخة بالعار.

- لعنة الله عليك, أصبحوا الآن عار, ها؟ لم يكونوا كذلك حين قبلت بهم أليس كذلك؟

اقترب منها بيتر أكثر بعدما كان يتحدث على مقربة منها ويلوح بيديه في الأفق متحدثاً باندفاع وحنق شديدتين، وقال:

- أجل فما كنت أعرف حقيقتهم أما الآن فأنا أعرف وأعرف من أين مصدرهم.

- كفاك توبيخاً لي وأغرب من وجهي.

أشار بالسبابة إليها مستخدماً أسلوب التهديد قائلاً:

- سأغرب قريباً أعدك بذلك.

كانت تتفاخر بما تفعله مما دفع بيتر للاحتراق من  
داخله, فكيف يقبل المرء على نفسه هذا العار كله يا  
جودي!

إنني استغرب لماذا يفعل المرء الخير -وهو واجب  
عليه- ثم يقوم بهدم كل الخير الذي فعله؟ لو لم تقم  
بالخير من البداية لكان أفضل من تلك النهايات  
الهادمة!

كان الحل الأخير هو التحدث مع أمه لإيجاد حل لتلك  
المصيبة, فوعده أمه بذلك ومن خلفه قالت لجودي:  
اختفي قليلاً عن نظره، وبينني له أنك لم تعودى تفعلين  
ذلك وافعليه سرّاً بعدها!

حتى أمه طعنته لكنه لم يعرف إلا فيما بعد, وإليكم  
الطريقة التي عرف بها وتأكد من جميع شكوكه حول  
أخته وما تفعله خارج المنزل، وحول رضا أمه على  
ما تفعله جودي.

في يومٍ من الأيام بعدما تصالح بيتر وجودي وسط  
عناق انهمرت معه الدموع عادت القوة لعلاقتهم  
مجدداً، ووجدوا أنفسهم أن لا يفرقهما شيء مهما كان  
وسيفعلان المستحيل للابتعاد عن ذاك العار, لكن  
المشكلة التي ستقع على رأس بيتر هي كلام أمه الذي

لم يعلم به بعد وخداع جودي له كذلك. عادت جودي إلى نفس الطريق علناً مجدداً وعاد بيتر للضجر كذلك, لكن هذه المرة بصمت لأنه كان يعلم أن الحديث لا يجدي نفعاً وأن العنف ليس أسلوباً وأن التأقلم لن يحدث بتاتاً مع شيء يرفضه رفضاً تاماً.

إنه العام ألفين وتسعة عشر, بيتر يجلس وحيداً كالعادة ليلاً, فما أصعب التحدث إلى أحدهم أو إيجاد أحدهم حين حاجتك للبوح!

جالساً منتظراً جودي لتعود للمنزل، التي كانت تعود إما للنوم وإما لتغير ملابسها والخروج للملهى؛ لتقضي فيه سهرتها حتى الصباح ثم تبيت في منزل صديقتها أو مع أحد الشبان الذين يملكون نقوداً طائلة, مهلاً, مهلاً, أريدكم أن تتخيلوا معي هذا العار كله! إنه لأمر صعبٌ للغاية إلى حدٍ جعلني أقاسي كتابته!

كانت محترفة في معرفة الغني من الفقير؛ وأقصد بالفقير هنا أي الشخص الذي يملك ثمن الخمر فقط ولا يملك ثمن عاهرة يأخذها معه للمنزل للاستمتاع ببقية السهرة عارياً.

هذا كله لم يكن واضحاً لبيتر فما كان يحب الظلم  
لأحد رغم كل ما رآه، تخيلوا، تخيلوا، وما أكثر تخيلنا  
في هذه القصة!

كل شيء كان واضحاً سيتضح أكثر فيما بعد...

في تلك الليلة التي ستتكشف فيها حقيقة القناع الذي  
ترتديه جودي، بيتر كان آنذاك يحتاج فعلاً للمساعدة  
لكن ما كان هناك من يساعده حتى والده الذي لم  
يخبره بأي شيء من أحداث العار كلها خوفاً عليه من  
تبعات معرفته بكل هذا، فكتب بيتر الآتي واصفاً حاله  
حينها: "في عزلتي و وحدتي أكون أنا المتكلم  
والمستمع أيضاً، لا تستغربوا فأنا أتحدث مع نفسي  
فقط".

بعدما خرجت جودي لتتغرس بالسكر والرقص  
والتباهي بجسدها شبه العاري في إحدى الملاهي  
الليلية، أجرت مكالمة تطلب من بيتر القدوم إليها  
لمشاركتها السهرة. بيتر كان يكره تلك الأجواء لكنها  
أصرت على قدومه، وكأن القدر كان يخبأ هذا اليوم  
للوقت المناسب؛ ليجعل بيتر يشاهد ما تفعله جودي  
بالضبط ويقول له: أنت لم تظلم أحداً يا صديقي.

جهاز بيتر نفسه وذهب وعند وصوله كان هناك رجل ينتظره دفع عنه الأجرة وأمسك بذراعه وأدخله المكان كي يشعر حارس الملهى بأنه شخص مهم لا يستطيع إيقافه وطلب هويته لمعرفة عمره, كان بيتر حينها لم يكمل الثامنة عشرة ليسمح له بالدخول إلى تلك الأماكن. دخل بيتر وسط دهشة جعلته يرتعش خوفاً من المكان بل يرتعش لأنه ليس المكان المناسب له, حينها تحركت أخلاقه ومبادئه ودفعت جسده للارتعاش لقوة الصراع بين غريزة اللهو وغريزة الأخلاق.

عندما جلس وبعد شربه كما لا بأس به من الخمر ظن الجميع أنه في حالة سكر الآن بعد أن أوهمهم بذكائه أنه كذلك؛ ليرى ما سيحدث عندما يصبحون سكارى، وما سيفعلون عندما يرونه سكارا لا يقدر على تحريك نفسه إلا بالقوة أو بالاستناد على أحدهم. حدث ما لم يكن بيتر يريد رؤيته, جودي في وضعية مخلة للأداب ترقص على فرج أحد السكارى الأغنياء وهو الآخر يتحسس جسدها المليء بالدهون. غضب بيتر غضبا شديدا وسحب جودي من وسط دائرة العار تلك وعادا سوياً للبيت, جودي كانت غاضبة لإفساد بيتر تلك الوضعية التي بدت مريحة لها



وتشعرها بسعادة لا مثيل لها ونشوة قد اقتربت بالفعل, حتى أنها لم تعلق على ما فعلته حينها. أدرك بيتر أنه حان الوقت للتحرك لكن قبل التحرك شاركنا بيتر شعوره حينها فكتب الآتي: "كل شخصٍ أتخذ وضعية المؤذي لروحي يثبت لي أنه كذلك والأيام برهنت ذلك, سأتمالك شخصي من أجل نفسي المرة القادمة, كنت أحمق عندما لجأت لمخارج سهلة لمشاكلي فأيقنت ضعفي ومجدت صمودي وشكرت مارك مانسون على كتاب فن اللامبالاة الذي تضمن حلاً لبعض مشاكلي!".

حينها أخذ بيتر عهداً على نفسه أن لا يشرب الخمر بعد ذلك, فكانت هذه الخطوة الأولى للتحرك, أما الخطوة الثانية كانت إخبار أبيه الذي صُدم لمعرفة الأمر, أما الخطوة الثالثة كانت هي العودة للعيش مع أبيه والابتعاد عن هذا العار كله, لكنه لم يخرج منه إلا بعد عراك دار بينه وبين أمه التي كانت السبب لهذا الشتات كله منذ البداية. عاتبته رغم أنها المخطئة وصفعته ثلاث صفعات ما زال يذكرها إلى اليوم, صفعات كانت لا يجب أن تصفع لشابٍ أصبح على أعتاب أن يكون بالفعل رجلاً, خصيصاً من أمه التي

تظن أنها ربته على أحسن صورة. وسألته أمه وهي  
في ذروة انفعالاتها التمثيلية:

- لماذا تفعل هذا بنا, بل بي بالتحديد أنت تسكن  
روحي, لم عساك تفعل هذا, أيروق لك أن تعذبني  
هكذا؟

رد بيتر وكان في وضعية قوة وحزم لم يشعر بهما  
من قبل:

- أجل بالفعل أنا كذلك, أجل أسكن روحك وأدفع  
الإيجار يومياً أدفعه من "سعادتي", إنني أموت  
داخلياً حين يؤذيك أحد, لكن أين كنت حينما كنت  
أؤذى, بل أين كانا عقلك وقلبك حين أذيتني أنت  
بنفسك؟

لم تستطع ميري الرد على كلام بيتر حينها, فاكتفت  
بالنهموض من مكانها والخروج من غرفة بيتر. لم  
يُصفع مجدداً فقد صُفِعَ من قبلها بما فيه الكفاية, إلا أن  
الباب صفع مسمعه من قوة إغلاق ميري له. ارتسمت  
على وجهه ابتسامة خرقاء نابعة من سعادة عارمة,  
ابتسامة دافئة نابعة من حزن دفين, أذبلت ملامحه  
الصعاب وأخفت ابتسامته الدافئة تلك ما تحتويه  
روحه من خراب. بيتر الذي كان يشكو من عذاب

القلب وفراغ الروح ومراقبة السعداء والتحسر عن  
كثب, كتب لنا آخر شيء باح به عندما تم سؤاله عن  
أمر مسامحته لهم, كلمات احتوت الآتي:

"عندما يخيل لك شيء جميل وتراه فيما بعد على  
حقيقته وهيئته الأصلية, يصعب عليك تذكر شكله  
المزيف الأسبق".

الخاتمة:

ما يثير تساؤل الغالبية الآن مصير تلك العائلة، أو على الأقل بيتر، كونه الشخصية الأكثر طيبة وقرباً للقارئ العزيز في قصتنا هذه من وجهة نظري المتواضعة.

حسناً...

بعض الطرق لها مداخل ومخارج لكن الطريق الذي سلكه كل من ميري وجودي ونينا كما قال الراحل عبد الحليم حافظ وأقتبس: طريقك مسدود.

لكن هذا ليس المصير الحتمي لتلك الشخصيات الثلاث الدنيئة، تلك كانت عقليتهم وطريقة معيشتهم، ومصيرهم واضح، إذا أردنا السير في خيالنا قليلاً ورسم نهاية فستقودنا لفكرة واحدة: "الهلاك والضياع".

ضاع كل من في تلك العائلة وأصبح رفات، ميري بقيت عبدة عند أفكار مارلين، وجودي استقرت على معاقرة الخمر والاحتيال على الرجال -عند حاجتها للنقود فقط- وذلك وفقاً لاعتراضها هي ومن يشابهها على من يعارضهم!

نينا تمسكت بابنتها الوحيدة لأنها مصدر دخلٍ لها لا  
تستطيع التفريط فيه مهما كلف الأمر – تبدل الأحوال  
وانكماش وقلة عمليات الاحتياي الجنسي غير  
الأخلاقي على الرجال كان سبباً رئيساً دفعها للتمسك  
بابنتها – إلى حدٍ وضعها لخلق حربٍ باردة بينها  
وبين زوجها السابق الذي طالب بالحصول على ابنته  
كي يوفر النقود على نفسه!

استوقفني شيء مريع قبل هنيهة وأنا أكتب ما  
سبق...ألهذا الحد جيلنا والجيل الذي سبق جيلنا  
والحديث هنا عن جيل التسعينيات بالتحديد، ألهذا الحد  
ذلك الجيل دنيء أو له جانب دنيء ظاهر للعيان أو  
مخفي باتقان؟

في الحقيقة لست ممن يلجؤون لأسلوب التعميم لكنني  
موقن وبنسبة كبيرة أن جيل التسعينيات جيل أكثره  
دنيء دناءة لا حصر لها والجيل الذي أعاشره جيل  
بداية القرن الحادي والعشرون إلى يومنا هذا خير  
دليل وليست مرحلة المراهقة هي السبب الحقيقي.

بالنسبة لمصير تريشا والتي -والحق يقال- هي أطيب  
الفتيات الخمس قلباً وأكثرهم اعتدالاً واستقراراً والتي  
استقر حالها وباتت الآن في أوقاتنا الحالية تعيش حياة  
سعيدة نزيهة طاهرة خالية من الدنس وهذا أهم شيء،

كما تزينت حياتها أيضاً بفتاة تشبهها إلى حدٍ كبير،  
حال تريشا المستقر هو ذات الحال بالنسبة لشقيقتها  
نينيا التي أنجبت فتاة سمتها وينر وصبي سمته  
موريس.

كنت سعيداً للغاية كعادة الغالبية الآن لتبدل حال  
تريشا ونينا على الأقل للأفضل والأنبل، وعندما  
وردتني تلك الأخبار أصبحت على الفور منحازاً  
لصفهم كانحيازي لبيتر المسكين الذي سأحدث عنه  
بنهاية المطاف...

بالنسبة لإيميلي التي وا أسفاه نسيت أن أضعها في  
خانة الدنس برفقة شقيقتها الكبريين وأمها، أعذروا  
ضعف بديهتي وقلة حيلة ذاكرتي على هذا الخطأ  
الفادح...

المهم إيميلي لم يختلف مصيرها عن مصير من هم  
في خانة الدنس بل هي الدنس بحد ذاته، إيميلي قضت  
حياتها من حزن رجلٍ إلى الآخر حتى في زواجها  
أبقت على عملها كبائعة هوى قائماً، حتى أنها كانت  
حريصة على انتقاء زوجها الذي سيستغلها بإرادتها  
لتفعل ما يحلو لها والعكس صحيح، تلك كانت حياة  
إيميلي، من حجرٍ إلى وكر دعارة إلى مكانٍ اعتادت  
التردد عليه "السجن".

أجل... تلقت إيميلي حكماً بالسجن لمدة ثلاث سنوات  
لشاهدتها الزائفة و خداعها – والذي كشف بالطبع –  
للمحكمة الموقرة بأقوالها وعندما خرجت من السجن  
خرجت أسوء مما كانت عليه وبمعارف أكثر،  
فبالطبع لن تجد دائماً أختيار الناس والمظلومين  
وأصحاب العقول المنيرة والقلوب الطيبة في السجن.

أما العجوز رومان... آه... إن هذا العجوز يبعثر  
أفكاري وحكمي، ويجعلها مضطربة بعدما اطلعت  
على أحواله، والحقيقة أنه جعل رأيي مزدوجاً وكأني  
أعاني من الانفصام، يتعارض رأيي الأول مع الثاني،  
تارةً تدفني طبيته وقلة حيلته للهلاك، وتارةً يدفعني  
إدمانه للشيشة والسكوت وضعفه الواضح أمامهما  
لازدرائه. ذلك العجوز الذي بات تحت رحمة إدمانه  
منصاعاً له بالكامل وراضخاً له دافعاً إياه للاهتمام به  
فحسب، جعلني في النهاية أحزم أمر حكمي عليه؛ فقد  
بات ذنباً لمن يملك مالاً ينقذه من نفاذ مستلزمات  
الشيشة، ثم بشكلٍ آخر دفعني للحيرة مجدداً، شكل لم  
أكن أتوقع رؤية رومان عليه وربما هذا سبب  
حيرتي، رومان الرجل الحديدي صاحب الأفكار  
والمعتقدات التي من الصعب تبديلها بات الآن في  
صف من يضمن له مسكناً يدخن فيه الشيشة ويوفر له

وصلة كهرباء ليستمتع بالفسوق والفجور مع عاهرات  
الفيس بوك الافتراضيات. بات هذا العجوز ذنباً لتينا  
التي تأويه هو وبيتر الذي رحل عنهما في نهاية  
المطاف.

أخيراً في قصتنا هذه التي لا أقوى على إنهاءها  
ومفارقتها لكن لكل شيء نهايته... أن الأوان للتحدث  
عن مصير آخر شخصية في العائلة الجائعة والتي  
هي أهم شخصية ارتكزت عليها الرواية وارتكزت  
عليها أيضاً التساؤلات...بيتر.

بيتر هذا الشقي شقاءً يدفع المرء لحبه والوقوف  
بجانبه ومساندته دون التفكير مرتين في ذلك، شقيّ  
إلى حد الشفقة، بريء كمسكين ألفت له تهمة السرقة  
ويداه في الأصل مبتورتان، ضحية هذه العائلة الدنيئة  
التي لا تكثر سوى لجوعها وقهره بأي وسيلة.

كانت المرة الأخيرة التي رأيت فيها بيتر يجلس في  
حديقة عامة حاملاً كتاباً بيده ويقرؤه بهدوء تام، رأيت  
فأقفل الكتاب على الفور ووثب عن مقعده وحيّاني  
قائلاً: أهلاً يا أعدل زائرٍ "

مما لا شك فيه أن بيتر عُرفت قصته كاملةً للذين من  
حواله، أستطيع أن أجزم بأن بعضاً من الذين حوله



جعلوه يحمل على عاتقه مسؤولية ما حدث بالكامل،  
وهذا ظلم إلى أبعد الحدود بالطبع.

وبعد أن جلست سألته: قل لي كل شيء بعد كل شيء  
بالتفصيل، أريد أن أطمئن بالأ.

بدأت الكلمات تنهمر من فمه كالسيل الجارف، لم  
ينفك عن النحيب ولم يتوقف عن التكلم باندفاع وألم  
إلا عند انقطاع نفسه واحتياج رئيته المحترقتان من  
أثر التدخين الشره للهواء. كان يائساً ومحطماً  
وضائعاً في صخب العالم ووحشيته لكنه من داخله  
صلب ومتزن ومستقر نفسياً بعض الشيء مهما بدا  
عليه أنه ضعيف ومضطرب.

إليكم ما قاله بإيجاز خاتماً به قصتنا هذه.

" يا صديقي الوحيد... يا من ينصني... أريد أن أبدأ  
حديثي بجملة شهيرة لدوستويفسكي: أريد أن يكون  
هنالك إنسان، إنسان واحد على الأقل أستطيع أن  
أكلمه في كل شيء كأنني أكلم نفسي.

لقد أرسلك الله لي، أشعر كأنني أتكلم للمرة الأولى  
مع نفسي أنا هش وضعيف أمام هذا كله... أنا كرهيف  
خبزٍ أهمل فأصبح هزيباً وقاسياً، أي اهتمام يشعل  
النار صوبي ويجعلني حياً مجدداً... هذا أنا وهذا ما

كتبه الله لي... أقصد في ذلك طبيعة عائلتي... لا  
أستطيع تغيير شيء في تلك العائلة سوى نفسي،  
خرجت ذات يوم وتركت كل شيء وراء ظهري  
وبدأت حينها حياتي بالفعل، أشعر كأنني ولدت لتوي،  
وجدت على أرضٍ جديدة كل الجدة، أشعر وكأنني  
طفلٍ رضيع لا تشوب قلبه شائبة ولا يسكن أي سواد  
روحه، ولا تومض في عقله أي أفكارٍ خبيثة... أنا  
الآن إنسان آخر فخورٌ بما أنجزته لنفسي.

كنت أعيش مع غرباء طيلة حياتي!

كان أكثر ما أتمناه أن يحتفي أمي وأبي بإنجازٍ لي  
ولو كان صغيراً، كنت أتمنى أن يشاركاني سعادتي  
ولو تمثيلاً ويشعراني بأنهما حقاً موجودان، لكنهما لم  
يفعلا، كذلك الأمر بالنسبة لأقربائي والكثير من  
أصدقائي... لطالما كنت أحتفي بما أنجز بنفسي ومع  
نفسي وما زلت كذلك وهذا ما دفعني لمحو كل شيء  
عرفته وعهدته في الماضي، أنا الآن نسيت اسمي  
حتى، وأكاد أنسى قصتي التي صنعتني وأوصلتني  
إلى هنا، أنا حقاً حرٌّ وسعيد كطائرٍ يعيش في بلادٍ  
يحظر فيها بيع السلاح والصيد.

عشت ليالي قاتمة طويلة للغاية، عشتها لحظةً بلحظة  
متمنياً التحدث مع أي أحد قائلاً كل ما أكتمه في

سريرتي لأرتاح، لكنني لم أجد أحداً على الإطلاق  
سوى الورق، كان القلم وأناقلي ساعيا البريد بيننا،  
من سوء حظي أنني عاشرت أناساً إما مشغولون عن  
الاستماع لي أو ممثلون بارعون يتقنون دور  
المكترث لي، لم أكن وحيداً طيلة حياتي البتة، كان  
وما زال وسيبقى الله معي في كل حينٍ وزمان ومكان  
وبفضله امتلكت مكتبة.

لم يبقَ لشبابي دليل على وجوده سوى نعومة جلدي  
وقلة تجاعيده وعذريتي، ولم يتشبث بي أحد سوى  
أيدي الأبواب.

كانت بداية نهايتي مع بيتر شاقة وطويلة سألته عندما  
جهزت نفسي للذهاب بعيداً جداً:

- لو كان الطريق متاحاً لك لتحقيق أي شيء تحلم به  
ماذا ستتمنى؟

أجاب بيتر بسرور وارتياح شديدين:

- أريد أن يعرف الجميع قصتي.

قاطعته متعجباً:

- ألا تخشى كلام العامة ورأيهم؟

- العامة يريدون أن يصبحوا كاملين ويريدون من حولهم كذلك أحياناً...قصتي لا أشعر بالعار اتجاهها وأشعر أنها ستكون ذات تأثير جامح على أشخاص عاشوا حياة تشبه حياتي أو قابلوا وعاشوا شخصيات تشبه شخصيات قصة حياتي...
  - وإذا حققت لك أمنيتك هل ستساعدني؟
  - بالطبع سيسرني ذلك...

مددت يدي له وقلت:

- هيا فلنذهب بعيداً عن هنا.

وسرنا سوياً حتى اختفينا وظهرنا مجدداً في هذه القصة.

بمساعدة بيتر.

النهاية.